فوزأييك
ألوان سوريا
العدد الثانى عشر 15\10\2013
Eid Al Fotr
In Syria
Gareeb Qadri

موزاييك
ألوان سوريا

الأثر الشامي في بلاد الأندلس 4

مدن الدخان 13

ميشيل عفلق 14

اشكالية العدالة الانتقاليه 19

حملة «بدي مدرستي» 21

للتواصل مع فريق عمل موزاييك:

mosaic4sy@gmail
www.facebook.com/mosaic4sy
www.twitter/mosaic4sy
www.mosaic4sy.wordpress.com

تنويه:
المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي موزاييك ألوان سوريا.

سوريا تحت نظامين

المشكلة أن كل سياسات المعارضة وكل سياسات الدول الإمبريالية توافقت مع سياسات النظام، ودفعت بالأوضاع نحو الواقع المأساوي، أي إقصاء الشعب عن الثورة، وتظهير المكون العسكري.

لا يزال النظام مطبقاً على بضعة مدن وبلدات والعاصمة، بمختلف أشكال السيطرة، وأضاف في الشهرين المنصرمين، تدخلاً فظاً وبشعاً، بأن نشر قوات الحرس الوطني فيها، فلا يخلو حيّ من بضعة مسلحين، وهكذا في كامل المناطق المسيطر عليها. يضاف إلى ذلك وضع معيشي كارثي حيث الغلاء الفاحش.

وجود المسلحين» الشبيحة» في تلك الأحياء، يمنع أي شكل للتعبير ولو ما تحت- تحت سقف الوطن! فالخوف سيد في الصدور، والناس تصمت وتصمت، خوفاً من نظام قاتل وخوفاً من معارضة لم تتوان عن ارتكاب الحماقات في فهمها لتعقيدات الواقع السوري وتجاهل مشكلات الثورة، وتكرار الطلب الغبي من الخارج- والخارج فقط- بالتدخل العسكري وبغيره، وفي ذلك بررت كل أشكال التداخل بما فيها المجموعات الجهادية، ولم تكذّب «داعش» خوف الناس، بل ضاعفته من خلال شعارها الشهير الخلافة الإسلامية مؤخراً، وفق طباق مع شعار السلطة الخلافة الإسلامية أو نحرق البلد، ليتم بذلك نسف كل إمكانيات العيش المشترك وفق الوعي العام البسيط والأولي، والذي هو وعي ديني...

هذه القوى، بالإضافة إلى قوى محسوبة على الجيش الحر، وقوى نهب وسلب، ولكنها تحسب على الجيش الحر، شكّلت صدمة إضافية للناس وذكّرتها بأفعال النظام، من قتل وسرقة وسجون، وغير ذلك كثير. المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام، أقصيَ فيها الفعل الشعبي تدريجياً، وسيطر العمل العسكري سيطرة شبه كاملة، وأصبح كل فعل شعبي أو مدني يتم تحت القيادة العسكرية الثورية، وهذا تمّ بدفع من النظام الذي لم يتوقف لحظة عن التدمير والقتل الجماعي والعشوائي، وهو ما قضى على حيوية الثورة وتعدد أشكالها، لتتكرّس هيمنة المكون العسكري، فأصبح صوت السلاح هو الأقوى، وهو ما يشوبه الكثير من الأزمات والمشكلات، وأبشعها على الإطلاق القتل العبثي والمجاني، لجنود تابعين للنظام، لمواطنين محسوبين عليه.

تعدّدت مصادر الموت في مناطق الثورة حيث قُتل أبناؤها بالسلاح والحصار والجوع من قبل النظام.. وقبل ذلك، اعتقلوا وعذبوا وانتهكت كراماتهم، ولا تزال تلك الممارسات جارية. ويقتلون ثانية من الكتائب العسكرية لأتفه الأسباب، من قذيفة أو قناصة، أو خلاف بين الكتائب، أو بسبب رفض لسلطتها كما تم في الرقة أو سواها، أو بسبب تكرار رفض الناس لهم أو سواه.

الأنكى في الأشهر الأخيرة، محاولة «داعش» بشكل خاص و»النصرة» و»الكتائب» إقصاء كل فعل شعبي عن ساحة الفعل الثوري، وتصنيف الناس- السنة- طائفياً، أما بقية السوريين فإما إلى القتل أو الجلاء! وبالتالي هناك بوادر سلبية جداً لجهة المستقبل؛ هذه كانت دعاية النظام في بداية الثورة، أي حينما تكلم عن جماعات سلفية وإرهابية وإمارات وغير ذلك. المشكلة أن كل سياسات المعارضة وكل سياسات الدول الإمبريالية توافقت مع سياسات النظام، ودفعت بالأوضاع نحو الواقع المأساوي، أي إقصاء الشعب عن الثورة، وتظهير المكون العسكري. الواقع الجديد هذا، أي منذ بداية ٢٠١٣ تقريباً، كان كارثياً لجهة عدد القتلى السوريين، وهناك عبثية شبه مطلقة في تلك الأعداد، وهناك من يشير إلى أن مستوى القتل في سوريا وطريقة حدوثه والتفنن بأشكاله، فاق كافة الدول التي شهدت ما يماثل ما يحدث في سوريا.

النظام لم يتراجع قيد أنملة عن فرض سلطته، ولم يسمح لأي شكل من أشكال السيطرة المدنية بالتشكّل، عدا عن فشل المجلس الوطني والائتلاف الوطني، في إيجاد أي حلول حقيقية لمشكلات الناس، ففشلت تجربة الوزارة الأولى، ويبدو أن الثانية بطريقها للفشل، وفشلت تجربة المجالس المحلية المصنّعة كذلك، وترك الناس بانعدام قدرة شامل في تأمين حاجياتهم. وتستمر كذلك المحاولات الحثيثة لإخضاع كتائب الجيش الحر، لمصادر التمويل واللعب فيها بشكل يمنع تشكّل جيش متقدم فعلاً ووطني، وتفتح مصادر التمويل بالمقابل وبشكل لا محدود للكتائب الجهادية من أشباه «النصرة» و»داعش»، والتي قويت بشكل كبير جداً، ليتشكل وضع كارثي في المناطق المحررة، وباعتبار «داعش» و»النصرة» خارج سياق الثورة، وتعمل بسياق وهم الخلافة الإسلامية، ومحاولة تحققها، وإجبار الناس على إسلام لا يمت لإسلام الناس بصلة، ويتركز فعلهم بعيداً عن روح الثورة كثورة شعبية وطنية، فإن مشكلات جديدة تحدث بين تلك التشكيلات وبين الناس، وهو ما بدأ في الرقة وحلب وإدلب، وبدأت القضية تتعمق في كافة مناطق سوريا، وبالتالي دخلت أشكال جديدة من الصراع على خط الثورة، سيكون مصيرها، وفي حال استمراريتها، تفكك واقع الثورة.

قصدت أن حجم المعاناة أصبح كبيراً، وتعددت أشكالها في كامل مناطق سوريا، سواء أكانت المناطق ثائرة أم خاضعة للنظام، ورغم فارق المعاناة وعدد القتلى، وأسباب القتل، وحدّة الصراع، فإنّ واقعاً سورياً دموياً أصبح حقيقة كارثية؛ فلدى الثورة ما يفوق المائة ألف قتيل، ولدى الشعب تحت النظام ما يفوق الخمسين ألف قتيل، وهناك قتل عبثي وطائفي لا يخدم الثورة بشيء، وهناك مئات آلاف المعتقلين لدى النظام، وآلاف المعتقلين لدى المكون العسكري للثورة بالإضافة لمعتقلي «داعش» و»النصرة».

وبالتالي فإن شكّل إقصاء الشعب غير الثائر منذ بداية الثورة سياسة لدى النظام، ولأسباب شتى، فإن إقصاء الشعب لدى المكون العسكري نما وتوسع تدريجياً، وأصبح خاضعاً له، وبالتالي هناك ضرورة لرؤية ومنظار مختلف تماماً للثورة، وللسوريين، بعيداً عن النظام وبعيداً عن سيطرة المكون العسكري.

طرحنا لوجود نظامين مسيطرين على الشعب، لا يلغي فكرتنا المركزية، أن السبب الرئيسي كان ولا يزال وحتى هذه اللحظة، النظام الحاكم بالتحديد، وأن كل ما حدث، حدث بسببه بالتحديد أيضاً، ولكن وجود ما يشبه النظام في أماكن الثورة أصبح حقيقة، وصار لا بد من رفض شعبي واسع لهذا الحكم أيضاً، رفض ينبني على فكرة أن السوريين في أماكن الثورة وفي أماكن النظام يخضعون لسلطة مستبدة، وبالتالي هناك ضرورة لتجديد الثورة في سياق سيرورتها كثورة شعبية وطنية وضد نظام شمولي ناهب.

ربما لن يتشكل وعي وطني جامع وثوري بشكل فعلي، إلا حينما يسقط النظام، ولكن وفي حال تأجل ذلك، فإن هذه المهمة تشكل ضرورة سياسية، أي هناك ضرورة لخلق مختلف أشكال التواصل بين مختلف مناطق سوريا.

فالدماء أصبحت كارثية، والسلطة المتغولة للنظام»المافيا» صارت كارثية، والسلطة الجديدة للكتائب العسكرية ولاسيما الإسلامية أصبحت تشكل خطراً حقيقياً على الناس وعلى الثورة، وبالتالي صار لا بد من إعادة النظر ودق ناقوس الخطر بشكل فعلي وبالتأكيد ضد بقاء النظام بأي حال من الأحوال، وفي هذا لا يكفي الصراخ ضد «داعش» و»النصرة».

الأثر الشامي في بلاد الأندلس

أكثر المثقفين يعلمون قصة فتح العرب للأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير وما رافقها من وصف وأقوال. ويعلمون أيضاً، بشكل عام، مجريات العهود المختلفة التي مرت بها بلاد الأندلس في ظل الحكم العربي الإسلامي منذ الفتح حتى آخر عهود ملوك الطوائف حيث انطفأت شمس الدولة الأموية هناك وبقي إشعاع حضارتها ماثلاً إلى اليوم.

ويهمنا في حديثنا إليكم بيان الأثر المشرقي الشامي الذي تجلّى في هذه الدولة الأموية الشامية التي قامت في شبه الجزيرة الإيبيرية والتي عُرفت بالأندلس حيث زهت حضارتها في عصر كانت الظلمات تلف أوروبة وأكثر بلاد العالم آنذاك.

هذا الأثر المشرقي الشامي يبدأ منذ عهد الولاة وقبل دخول عبد الرحمن الداخل. صحيح أن إسبانيا المسلمة قد أدركت حدودها النهائية بعد أن أتمّ الفتحَ القائدان المسلمان طارق بن زياد، وهو بربري الأصل، وموسى بن نصير، العربي الأصل، وبعد أن التقيا في طليطلة ثم قفلا عائدَيْن إلى الشرق بعد أن استدعاهما الخليفةُ الوليد بن عبد الملك، صحيح كل ذلك... إلاّ أن الأثر الشامي لم يبدأ إلاّ بعد أن جاءت حملة بلج بن بشر إلى الأندلس لتهدئة الشقاق الذي حدث بين المسلمين من جراء ثورات البربر ضد العرب في الأندلس وكانت هذه الثورات صدىً للثورات الدامية التي حدثت في المغرب ضد الشاميين والمصريين فيها مما حمل الخليفة هشام بن عبد الملك على أن يرسل نجدات إلى إفريقية وبلاد الأندلس، وكان من بينها نجدة الجند السوريين تحت قيادة بلج بن بشر الذي استطاع أن يخمد ثوراتهم في إسبانيا. ونحبُّ أن نذكر هنا أن الاضطرابات في ذلك العهد لم تكن قائمة بين العرب والبربر فقط بل كانت أيضاً قائمة بين العرب أنفسهم الذين حملوا معهم خلافاتهم القبلية ومنها الخلافات بين القيسية واليمانية.

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الجندَ الشاميين هم أول من لعب دوراً هاماً في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس، وهم أول من نقل إليها النظم الشامية والتقاليد العسكرية التي كانت سائدةً في الشام والتي ستبقى من مميزات الدولة الأموية في الأندلس.

ونتساءل هنا هل كان عبد الرحمن الداخل عندما فرّ إلى شمال إفريقية هارباً من بطش العباسيين، هل كان يتطلّع إلى إعادة تأسيس دولته الأموية في إفريقية الشمالية؟ قد يكون هذا التصور ممكناً لكثرة البربر فيها وحمايتهم له لأن أمّه بربرية. ولكن في الحقيقة إن الأرض المواتية لطموحه السياسي ما كانت إلا الأندلس ـ لأنها كانت تضمّ نواةً أموية

نقوش تزين قصر الحمراء - غرناطة

شامية عربية هي جند بلج بن بشر. ولهذا استطاع بعد أن هام على وجهه في شمال إفريقية مدة أربع سنوات، أن يستثمر لصالحه الخاص المنازعات القبلية بين القيسية واليمانية وأن يؤسس دولته الأموية فيها، وقد استعمل في سبيل تحقيق هذا الهدف كثيراً من الحذق السياسي.

لهذا ما إن وطأت قَدَما عبد الرحمن الداخل أرض الأندلس حتى استقبل استقبالاً فاق حدّ خياله، ودانت له الأندلس وأصبح أميرها ولقب بالداخل لدخوله إياها ولقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش، وكان دخوله قرطبة سنة مائة وتسع وثلاثين للهجرة، فقطع الخطبة عن بني العباس ودُعي له على المنابر وبنى المسجد الجامع في قرطبة واختطّ مدينة الرصافة في شمالها على مثال رُصافة الشام لجدّه هشام وتأسست منذ ذلك العهد الدولةُ الأموية التي ابتدأت بعهد الإمارة. ولم يكن عهد الإمارة سوى عهد طويل لتعزيز السلطة الأموية في الغرب الإسلامي، وكان يجب علينا أن ننتظر عهد خلافة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لتتمركز هذه السلطة نهائياً سنة ثلاثمائة وست عشرة للهجرة.

بعد ذلك أخذت الأمور في التدهور حتى جاءت عهود ملوك الطوائف، ومع هذا بقيت الحضارة العربية التي بلغت أوجها في عهد عبد الرحمن الناصر تشعُّ، بل ازداد اشعاعها وازدهارها في نواحٍ مختلفة مع تقدّم الزمن الأندلسي الذي دام أكثر من ثمانية قرون.

وليس همي أن أستعيد الصورة التاريخية للأندلس بتفاصيلها ولا صورة مأساتها نتيجة تناحر حكامها واستعانة بعضهم بالأجنبي على بعضهم الآخر، فالمأساة قائمة ـ مع الأسف ـ حتى اليوم نشاهد صوراً مشابهة لها في تاريخنا المعاصر القريب، ولكن همي أن أعرض عليكم بعض مظاهر المجد الأندلسي الذي تجلّى في الأثر الشامي الإسلامي الذي كان يطبع الحضارة الأندلسية. وهذا الأثر سأوجز بعض ملامحه في أمرين يتضح من خلالهما الأثر الشامي المشرقي، أولاً في المنحى السياسي والاجتماعي وثانياً في المنحى الفكري والأدبي والفني.

المنحى السياسي والاجتماعي:

اتخذ شكل الحكم في الأندلس الأسلوب المتبع في المشرق، وإذا كانت الدولة الأموية في الأندلس هي محاولة لإعادة الدولة الأموية المشرقية فمن الطبيعي أن تأتي على شاكلتها وعلى شاكلة الحكم الذي كان متزامناً أيضاً معها.

إن مختلف العناصر التي كانت تكوّن جماعة السكان في بلاد الأندلس قد لعبت دوراً هاماً في تشكيل منحى الحكم والسياسة في الدولة. ولهذا يحسن أن نعلم أن بلاد الأندلس لم تكن متجانسة في السكان بل كانت خليطاً من مختلف العناصر والأجناس، فهناك أولاً السكان الأصليون من قوط وبقايا الرومان ثم جاء الفاتحون وهم من العرب والبربر، وكان البربر يمثلون الأكثرية المسلمة في عملية الفتح، وقد سببوا عدداً من الثورات إلى أن جاءت حملة بلج العربية الشامية فقضت على غلوائهم كما أشرنا. ثم هناك عنصر آخر وهم الصقالبة وقد جاؤوا من أوروبة وكانوا رقيقاً شروا بالمال ونشأوا نشأة عسكرية وتكوّن منهم الحرس الخاص للأمير والخليفة. وهناك إلى جانب ذلك عناصر مذهبية ولاسيما اليهود.

وهكذا نرى أن إسبانيا كانت بعد الفتح مزدحمة بالعناصر والأجناس المتعددة المتضاربة، وكان ذلك نقطة ضعف كبرى في تاريخ الدولة الأندلسية. وإذا كان النظام في العصور الحديثة يرمي إلى صهر العناصر المختلفة فإن النظام في القرون الوسطى لم يكن قد ارتقى إلى هذا الحد من التفكير والعقل السياسي، ولهذا فقد ظلّت العناصر تتناحر فيما بينها في أغلب الأحيان حتى كانت العامل الرئيس في القضاء على الدولة الأموية الأندلسية.

وكما كان الحكم في المشرق بيد الأمير أو الخليفة فإن السلطة العليا في الأندلس، في مختلف العهود السياسية، كانت أيضاً بيد الأمير أو الخليفة. وكان الولاة في أول الفتح يرسَلون من قبل الخلافة الأموية بدمشق أو من قبل الولاة في شمال إفريقية ، وكانوا عرباً قيسيين أو يمانيين، بمعنى أن العنصر العربي هو القابض على زمام الأمر. وهكذا نرى أن النمط الشامي في الخلافة كان سائداً في الأندلس ولاسيما في العهود الأولى من الحكم الإسلامي فيها. فالتشابه واحد من هذه الناحية في الأندلس والمشرق.

وكان للخليفة في الأندلس بلاط كما كان للخلفاء الأمويين والعباسيين في المشرق. وكان له قصر كبير بجوار الجامع، وحاشية كبيرة. وكثيراً ما كان يبني الخلفاء في الأندلس قصوراً أخرى حتى تصبح مدناً صغيرة كما فعل عبد الرحمن الناصر فبنى الزهراء بالقرب من قرطبة حتى صارت مدينة ملكية لها مسجدها ولها كل ما يتصل بحياة المدينة من حدائق ومجالس ومماليك ومخازن للسلاح.

وإذا كانت الخلافة هي الوظيفةَ الكبرى في الدولة فقد جاءت متأخرة في الأندلس، وقبل ذلك وُجدت الإمارة منذ أوائل الفتح سنة ٩٥ هجرية حتى قامت الخلافة فيها سنة ٣١٦ هجرية زمن عبد الرحمن الناصر، وكانت تشبه الخلافة المشرقية التي سادت في دمشق ثم في بغداد.

وحياة الخلفاء في الأندلس تشبه حياة الخلفاء في بغداد وحياة الخلفاء الفاطميين في القاهرة. فالبلاط تحدث فيه المآسي والمهازل وتدبر فيه الدسائس والمكائد والمؤامرات، وكثيراً ما تشترك فيها النساء. ويحدث أن يقتل الخليفةُ الخليفةَ أو الأميرُ الأمير ويعزلَ ويولّي غيره. فالصورة واحدةٌ سواء أكانت في المشرق أو في المغرب.

وكان يساعد الأمير أو الخليفة ما يمكن أن نشبهه بهيئة الوزارة في العصر الحديث. يقول ابن خلدون في مقدمته عن الحجابة والوزارة في الأندلس: «أما دولة بني أمية في الأندلس فأبقوا اسم الوزير في مدلوله

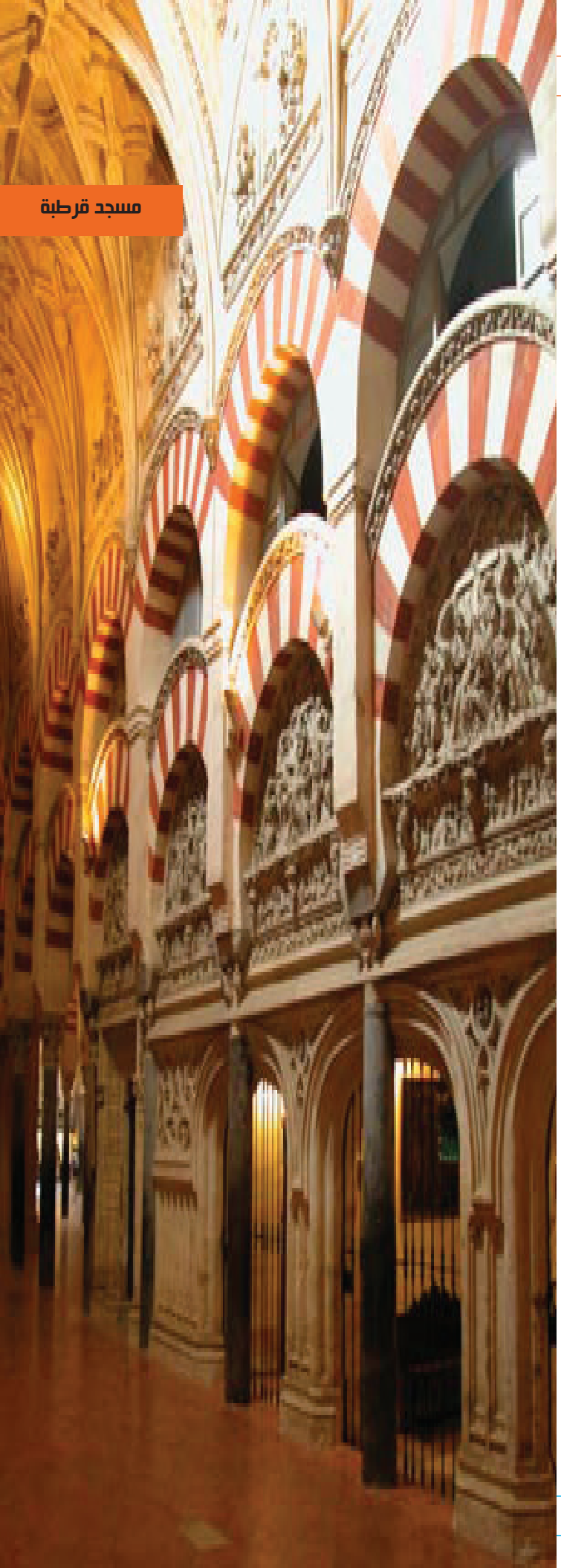

مسجد قرطبة

أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال الثغور وزيراً، وجُعل لهم بيت يجلسون فيه على فرشٍ منضَّدة لهم ينفذون أمر السلطان هناك كلٌّ فيما جُعل له. وأُفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحدٌ منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصُّوه باسم الحاجب».

وهكذا نلاحظ أن أمور الدولة كانت تدار بما يشبه الوزارة اليوم، وهذا نمط أُخذ عن المشرق أيضاً.

وقد استبد بعض الحجّاب في الأندلس بالخلفاء كما فعل الحاجب المنصور، وكثيراً ما كان يتسابق ملوك الطوائف إلى أخذ هذا اللقب.

ويبقى القضاء في الأندلس من المناصب الكبرى في الدولة، وقد كان مستقلاً في إدارته، ولم يسرِ هذا الاستقلال على الحجابة أو الوزارة لأنها كانت من توابع الخليفة.

وتختلف وظيفة القضاء في الدولة العباسية عنها في الأندلس، فقد كان قاضي القضاة له الرئاسة على القضاة في الدولة العباسية، بينما في الأندلس فقد كان قاضي الجماعة في قرطبة ليس له سلطة إلا فيها وحدها. ولم يكن له الرياسة على باقي قضاة الأقاليم، بل كان لكل إقليم قاضٍ مستقل.

إلى جانب القضاء هناك وظيفة أخرى هامة هي (صاحب الشرطة) الذي ينظر في المسائل السياسية والجرائم وغيرها، وكان يتولّى حفظ الأمن وتنفيذ الأحكام التي يُصدرها القاضي. وكان ينتقى من كبار القادة أو عظماء الخاصة وكان يتمتع بسلطة واسعة.

وقد تنوعت وظيفة صاحب الشرطة في الأندلس بحسب طبقات الناس فيها، فصاحب الشرطة العليا يختص بأمور الخاصة وله الحكم عل أهل المراتب السلطانية والموظفين والضرب على أيديهم، أما صاحب الشرطة الصغرى فكان مخصوصاً بالعامة.

وتأتي وظيفة (المحتسب) في الأندلس في درجة هامة. كما كانت قائمةً في دمشق الأموية. وكانت نوعاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحمل الناس على لزوم الصالح العام بالقوة إذا لزم الأمر. ولم يكن له مجلس يؤتى إليه بل كان يتنقل في الأسواق ويراقبها، كما كان له أن يدخل المدارس والمكاتب ليمنع المعلمين من المغالاة في الضرب. وكان يُختار عادةً من الرجال الأفاضل ذوي النزاهة.

أما (صاحب المظالم) فكان يشبه قاضي الاستئناف اليومَ فإذا ظُلِم أحدٌ من المحتسب أو القاضي شكا إليه، وله أن يقرَّ الحكم السابق أو يغيره.

بمثل هذه المناصب المعروفة في المشرق كانت تدار الأندلس.

وإلى جانب هذه الإدارة كانت القوة الحربية ممثلةً في الجيش وكان تنظيم الجيش في الأندلس مستمداً في الأصل من

قصر الحمراء

الشرق لأن العرب عندما دخلوا الأندلس نقلوا معهم تقاليدهم العسكرية ثم جاءت حملة بلج فدعمت هذه التقاليد. وكان النظام العسكري هناك نظاماً أموياً عربياً في أول عهده ثم أخذوا يعتمدون على البربر وعلى الصقالبة في تكوينه.

لم يكن في البدء أسطول للدولة الأموية في الأندلس، ونحن نعلم أن العرب انتقلوا أيام الفتح على سفن يليان صاحب سبتة، ولكن لما هاجم النورمان سواحل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط رأى ضرورة تكوين أسطولٍ لصدّهم. ومما دفع على تقوية الأسطول الأندلسي قيام الدولة الفاطمية في شمال إفريقية، وكان لها أسطول وكانت على عداء مع الدولة الأموية في الأندلس.

وقد أصبح للأسطول الأندلسي قواعدُ في إشبيلية التي كانت تدخلها السفن من المحيط في نهر الوادي الكبير وفي المرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ومع ذلك فإن الأندلسيين قد استعملوا قواهم البرية أكثر من قواهم البحرية.

تلك هي أنماط النظم السياسية والإدارية في بلاد الأندلس وكانت مطبوعة في أكثرها بالطابع المشرقي والأموي الدمشقي بشكل خاص.

أما الحياة الاجتماعية فقد كانت متأثرة بالحياة الجديدة التي عاشها الأندلسيون ولكنها لم تتخل عن أصولها المشرقية. وقد اتصف المجتمع الأندلسي بصفتين متناقضتين هما: التعصب من ناحية والتساهل والحرية من ناحية ثانية. وقد ساعد الفقهاء على تقوية صفة التعصب لما لهم من نفوذ ديني.

وإلى جانب هذا التعصب كنتَ ترى حياة الدعة والتساهل منتشرة. فقد كانت الحياة الخاصة متعةً متصلةَ الحلقات. وكنت ترى الأندلسي يتهتك دون وازع وانغمس أكثر الشعراء في حمأة هذا التهتك، وانتشرت الخلاعة وعمت مجالس اللهو وامتدت إلى قصور الأمراء والخلفاء. وقد ساعد الغنى وخِصبُ البلاد على انصراف الناس إلى اللهو والملذات، وظهر في بعضهم ميلٌ إلى التزوج أو التسرّي بالقوطيات (الإسبانيات) اللواتي أضعفن روح العروبة في أبنائهن. وقد انتشرت في الأندلس روح الفتوة التي سادت في الوقت نفسه بين الإسبانيين والغربيين قاطبة. وقد بقيت الفروسية الأندلسية عصوراً تجذب الأنظار إليها. وكثر الشغف بالفروسية في زمن دولة بني الأحمر وكانت مبارياتها وحفلاتها من أجمل المباهج العامة التي تجري في غرناطة والتي كان فيها اختلاط الجنسين شائعاً.

هذه نظرة عامة وسريعة على المنحى السياسي والاجتماعي وقد طبعته الحياة الجديدة بطابعها ولاسيما في المنحى الاجتماعي، ولكن بقيت في رواسبه المشرقية.

فما هو المنحى الثاني في الفكر والأدب والفن؟ ليست الأندلس كلُّها لهواً وطرباً، فقد سطعت فيها شمس العلم والأدب والفن وعرفت بلاد الأندلس في مختلف عهودها طائفةً من أعظم المفكرين والأدباء والشعراء والفنانين الذين اسهموا في بناء الحضارة العربية. وإذا كانت الأندلس قد طمحت إلى الاستقلال السياسي عن المشرق منذ بدء تاريخها فإنها لم تستطع أن تفلت من الخضوع له. بل كانت تنظر إليه في المجال الأدبي والثقافي متأثرةً أيضاً بالجو الجديد الذي عاشته. وبقي المشرق قبلة الأندلسيين، وكانت الرحلة إلى الشرق في طلب العلم ولقاء الشيوخ أمنيةً يرجوها كل مثقف أندلسي، حتى إذا ما رحل إلى الشرق عاد لينشر في الأندلس ما حمله من معارف وما أخذه من شيوخ المشرق.

ولقد عرفت الحياة الحضارية والفكرية تطورات مختلفة متبعة تطور تاريخ الأندلس السياسي، فقد وصلت هذه الحياة ذروة القوة في عهد الخلافة الأموية أيام حكم عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ولكنها لم تصل إلى ذروة نضجها الفكري. ولما انهارت الخلافة الأموية وسادت الفوضى أرجاءَ الأندلس في عهد الفتنة ذوت الحضارة الأندلسية وخبت مظاهرها العمرانية والفكرية حتى جاءت دول الطوائف فاستطاعت على رغم تطاحنها أن تعيد بهاء الحضارة الأندلسية في قصورها ومنشآتها ومجتمعاتها.

وعرفت الأندلس في هذه الحقبة المضطربة من تاريخها طائفة من أعظم مفكريها وأدبائها وشعرائها أمثال الفيلسوف ابن حزم (-٤٥٦هـ) والمؤرخ ابن حيان (-٤٦٩هـ) والشاعر ابن زيدون (-٤٦٢هـ) وغيرهم. بل إن ملوك الطوائف أنفسهم كانوا في طليعة الأدباء والشعراء كالعالم عمر بن الأفطس صاحب بطليوس، والمعتضد والمعتمد صاحبي إشبيلية، والمعتصم بن صمادح صاحب المرية. ولكن هذه النهضة الفكرية والأدبية ما عتمت أن توقفت عقب استيلاء المرابطين على الأندلس سنة ٤٨٤هـ. إذ كان هؤلاء المرابطون شديدي التعصب، قساةً غلاظاً، ألفوا الحرب والخشونة فلم تجد دولة الفكر والأدب في ظلّهم مرتعاً خصباً. ومع هذا فقد تألقت في عهدهم القصير بعض الأسماء أمثال الفيلسوف ابن باجة والفتح بن خاقان وابن بسام صاحب كتاب (الذخيرة) وابن قزمان صاحب الأزجال الشهيرة.

ولكنّ ظهورهم وأضرابهم في هذه الفترة لم يكن إلاّ امتداداً للنهضة الفكرية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف. ثم جاءت دولة الموحدين فانتعشت الحضارة الأندلسية ونشطت حركة التفكير لأن الموحدين كانوا أكثر انفتاحاً على الفكر من المرابطين.

فأُفرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري المشرق، وظهرت في هذه الفترة أي في أواخر القرن السادس الهجري أسماء لامعة في الأندلس أمثال ابن الطفيل الإشبيلي (-٥٧١هـ) صاحب رسالة حي بن يقظان والفيلسوف ابن رشد القرطبي (-٥٩٤هـ) كما ظهر عدد من أعلام الشعر والأدب مثل أبي القاسم خلف بن بشكوال (-٥٧٨هـ) وابن بدرون المتوفي في فاتحة القرن السابع وهو شارح قصيدة ابن عبدون الشهيرة في رثاء بني الأفطس. وازدهرت المعاهد العلمية في أيام الموحدين بالمغرب والأندلس، وكانت المعاهد الأندلسية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية يومئذ مجمعَ العلوم والمعارف ومقصدَ الطلاب من كل فج.

ولما اضمحلّ شأن الموحدين وضعف أمرهم بالمغرب والأندلس في أوائل القرن السابع الهجري وبدأت قواعد الأندلس تسقط تباعاً في أيدي الإسبان شُغلت الأندلس بمحنتها وانكمشت فنون السلم واضطربت دولة التفكير والأدب. وقد أثّرت المحنة في نفوس الشعراء فأذكت عواطفهم بشعر اللوعة والأسى. وغادر الأندلس في هذه الفترة كثير من الكتّاب والعلماء والفقهاء الذين توقعوا سوء المصير مثل الشيخ محي الدين بن عربي شيخ المتصوفة الكبير الذي قصد دمشق وابن البيطار المالقي وابن الأبار القضاعي.

وانجلت الفتن الداخلية وانجلى الصراع بين إسبانيا المسلمة وإسبانيا النصرانية عن سقوط معظم القواعد الأندلسية بيد الإسبان، وانكمشت الدولة الأندلسية في مملكة غرناطة الصغيرة. وفي ظل هذه المملكة الصغيرة التي قاومت قرنين من الزمن انتعشت الحركة الأدبية بعد أن آنست جواً من الطمأنينة والهدوء. ولكن طابع هذه الحركة اقتصر على الشعر والأدب وبقيت الحياة العقلية في حالة من الركود.

ونحب أن نشير في النهاية إلى أن الحياة الفكرية والأدبية في الأندلس قد أثّر فيها الاختلاط العنصري تأثيراً كبيراً، ولئن كان الأندلسيون قد تأثروا بالحياة الجديدة فقد بقوا مقلدين في آدابهم للمشارقة إلاّ في بعض الفنون الشعرية كظهور فن الموشحات الذي نشأ في الأندلس وكان نموذجاً جديداً في الشعر العربي.

الآن عندما يسافر المرء إلى بلاد الأندلس ويرى ما تبقّى فيها من آثار عربية ويتجوّل في مسجد قرطبة والقصر في إشبيلية والحمراء في غرناطة ويدخل تلك البيوت البيضاء العربية الإسبانية وقد تدلّت من نوافذها أُصصُ الأزهار ورقصت في ساحات دورها نوافير المياه وتمايلت على حافاتها أشجار النارنج، أقول عندما يزور المرء الأندلس ويصافح أهلها ويبتسم لنسائها الجميلات يتراءى له ذلك المجد القديم العظيم، مجدُ بني أمية ومجد دمشق. فهل يبقى الشرق شرقاً ونحن نرى المحنَ تحيق به وجيوشَ الأعداء تعسكر في أرضه زاعمةً أنها تمدّ الخير للمعذبين من أهله بعد أن دمرت أقوى أقطاره؟ إن الأثر المشرقي وأثر دمشق بالذات سيبقى في الأندلس مهما ساءت الأحوال، ودمشق تبقى دمشق مشعّةً دوماً، ورحم اللّه أحمد شوقي عندما قال:

لولا دمشق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببني العباس بغدان

أصوات ناعمة تشارك بصنع مستقبل سوريا.. سوريات يصنعن الفرق

عبد الحاج

لم تكن الحياة العامة للمرأة في سوريا قبل الثورة، تعكس مشاركتها الفعلية والواقعية في الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية للبلد، ونرى هذا بوضوح من خلال الإحصائيات التي تعكس نسبة التمثيل في الهرم السياسي والإداري للدولة، وتهميشها لتكون في أدوار مرسومة لها مسبقاً، فنجد أن اغلب النساء في الوزارات كانوا في إحدى وزارتين: الشؤون الاجتماعية والعمل – وزارة الثقافة، وحتى الحياة الإقتصادية أقتصر دور المرأة على بعض القطاعات دون غيرها ، ولم يكن أنخراطها بالحياة الثقافية بالمستوى المطلوب، مدعوم ذلك بحزمة من القوانين والتشريعات التي فرضت على المرأة السورية نوع من الحصار اللامرئي منعها من ممارسة دورها بالحياة بالشكل المطلوب، ومع إنطلاقة الثورة السورية بداية العام ٢٠١١ ظهرت العديد من المنظمات، والتكتلات النسائية، أبرزها تجمع نساء من أجل الديمقراطية الذي ضم: رابطة النساء السوريات - المبادرة النسائية - لجنة دعم قضايا المرأة- منظمة «مساواة» - موقع الثرى. ميزة هذه التجمعات وجود نساء ذوات خبرة في الشأن العام، ومتخصصات بالعمل المدني والحقوقي الخاص بالمرأة. أيضاً برزت منظمات ومؤسسات أخرى منها: سوريات من أجل التنمية الإنسانية، سوريات لدعم الانتفاضة السورية، هيئة النساء السوريات من أجل العمل الديمقراطي. كما تنبهت النساء لموضوع المشاركة السياسية وأهميتها فأنشئنا مجلس النساء وهو يهتم بالمشاركة السياسية للنساء وضرورة وجودها في الأشكال التي ولدت من خلال الثورة لتمثيل الثورة، ولا يمكن أن نغفل التنسيقيات النسائية التي ولدت في كافة المناطق لتمثل صوت المرأة ودورها في الثورة، وإن كان دورها هو نقل ما يحدث، وتسليط الضوء على مشاركة المرأة فيما يحدث في تلك المناطق، ويغيب عنها الدور التوعوي والتنموي للمرأة.

سياسياً

أتاحت الثورة السورية فرصةً لجماعة «الإخوان المسلمين» سمحت لها بالظهور في موقع المكوّن الأساسي في المعارضة السورية. واللافت هو أن النساء يتحوّلن جزءاً مهماً من «الإخوان المسلمين». فهؤلاء الناشطات، اللواتي يُشار إليهن عادةً بـ«الأخوات السوريات»، يضطلعن بدور يزداد اتّساعاً داخل التنظيم وفي إطار حضوره على الساحة الوطنية. ومنذ وقت قصير، انتُخِبت ست نساء في مجلس شورى الإخوان، مع الإشارة إلى أن اثنتين منهن تنتميان الآن إلى الهرمية القيادية في التنظيم، ومن المتوقّع أن يزداد هذا الرقم سريعاً، تعود جذور المشاركة النسائية في جماعة «الإخوان المسلمين» السورية إلى مطلع الخمسينيات عندما التقت الناشطة الشابّة أمينة الشيخة مصطفى السباعي، «. بيد أن القمع العنيف الذي مارسه النظام في أواخر السبعينيات ومطلع التسعينيات أدّى إلى تعليق مؤقّت لنشاطاتهن.

وتعزز أيضاً حضور «الأخوات السوريات» في «فرع الشباب» في جماعة الإخوان المسلمين، حيث يشكّلن، بحسب المعلومات١، ١٠ في المئة من عدد أعضائه. فخلال الاجتماع الذي عقده الفرع على امتداد ثلاثة أيام في اسطنبول في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، برزت هؤلاء الناشطات الإسلاميات الشابّات اللواتي طرحن أفكاراً مبتكرة، منها إعداد برنامج لتقديم قروض صغيرة للتجّار الراغبين في إعادة إطلاق أعمالهم في المناطق التي يسيطر عليها الثوّار، وبرنامج لتأهيل النساء اللواتي يغتصبهن الشبيحة. وتشارك بعض هؤلاء «الأخوات السوريات» في إعداد صحيفة «العهد» الصادرة عن الإخوان المسلمين،

إعلامياً

كماظهرت مبادرات إعلامية تقودها شابات سوريات منها مجلة «بنات البلد» وهي بحسب القائمين عليها: مجلة إلكترونية شهرية مستقلة من المرأة وعنها، تنطلق من رؤية منبر وأكثر. تهدف إلى خلق مساحات نسائية حرة وتثقيف المرأة وتعريفها بحقوقها وترصد النشاط النسائي بكل أنواعه.

ولاء خرمنده : مهتمة وناشطة في حقوق المرأة ، مديرة تحرير مجلة بنات البلد، في حديث للحياة عن التجربة تقول:» بدأت الفكرة كصفحة على موقع فيسبوك تعنى بالمرأة وتحاول التعريف بدور المرأة السورية وتناقش قضاياها، وتوثق كلّ ما يتعلّق بها في زمن الثورة. . بعدها اقترح علي الشاعر رامي العاشق أن أحولها إلى مجلة الكترونية فستهوتني الفكرة لأنني سأضمن تفاعلا وتأثيرا وانتشارا أكبر من صفحة (فيسبوك) وفعلا بدأنا العمل مباشرة وأنجزنا العدد (٠) أنا ورامي وحدنا، وفي العدد (١) انضم إلينا مجموعة من الشباب والشابات

أعتقد أن المجلة متجرّدة تماما من قمعية وإقصائية وسائل إعلام النظام التي عشنا عليها مكرهين طويلا. وهي كذلك بخصوص التعاطي مع قضية المرأة، أحاول أن أطرح مشكلات وآراء المرأة بطريقة حقيقية، وليس كما تبناها هذا النظام، لتتحول المجلة إلى منبر وأكثر هي الرؤية الأساسية التي تنطلق منها المجلة».

وتضيف «أردت للمجلة أن تكون بالدرجة الأولى منبرا نسائيا، ومساحة تعبر فيها المرأة السورية في مختلف القضايا لا سيما السياسية والثورية، فمساحة المرأة ضيقة سياسيا ومنابرها أقل بكثير من الرجل، أما الأكثر فهو مساحات مفردة في عدة زوايا لطرح مشكلات المرأة بصورة جديدة أو بفاعلية أكبر ، فالمجلة تريد للمرأة أن تصرح عن آرائها في القضايا الكبرى التي تطرأ اليوم. كما تتناول مشكلاتها بقلمها كل حسب اختصاصها لتكون مجلة من المرأة وعنها، ولهذا اشترط على الرجال المشاركين أن يتناولوا موضوع المرأة حصرا بينما للنساء حرية الموضوع

وتسليط الضوء على نساء مجهولات فاعلات قدر المستطاع من خلال التحقيقات والحوارت كما اعتمدنا تكريم شخصية نسائية في كل عدد وحاولنا اختيارهن من هؤلاء العظيمات العاملات بصمت».

كذلك العمل المدني كان للمرأة السورية دور فيه. الدكتورة هدى رئيسة منظمة «هيئات فتيات الغد الحر» في مدينة منبج المحررة شمال شرق مدينة حلب تحدثنا عن تجربتها في العمل المدني من خلال الهيئة فتقول:» قبل تأسيس الهيئة كنا نعمل بشكل أفرادي، مع إنطلاق عمل الهيئة بداية شهر نيسان/ أبريل ٢٠١٣، أصبح عملنا أكثر تنظيماً ووضعنا خطة لمجموعة مشاريع، وحدننا مجال عمل الهيئة بالقضايا التي تهم المراة و الطفل كونهم الأكثر تأثرن بمايحدث بسبب غياب الرجال و إنشغالهم على جبهات القتال أو إستشهادهم، الهيئة تتألف من أكثر من ١٥ ناشطة مدنية من طبيبات و مهندسات و حقوقيات و طالبات جامعة.

المشروع الأول كان عبارة عن مركز ثقافي ، فبعد السيطرة على المركز الثقافي للمدينة من قبل دول العراق و الشام الإسلامية، ورفضهم تسليمنا المكتبة ، المركز مستأجر في أحد الأبنية السكنية ويحتوي على مكتبة تضم حوالي ٨٠٠ كتاب تهتم بمواضيع (الفكر – الدين – التاريخ – الثقافة) ، تم التبرع بها من قبل أبناء المدينة، وعلى قاعة مطالعة كما فعلنا خدمة الإستعارة لمدة أسبوع واحد على كتب ، ولكسر الحاجز مع الكتاب إنشأنا منتدى ثقافي أسبوعي يناقش قضايا اليوم، ويركزعلى الفروق بين الأجيال و يطرح قضايا إشكالية تهم المرأة بالمقام الأول، بالإضافة لمراجعة لبعض الكتب.

كذلك حالات النزوح الكبير نحو المدينة و أستخدام المدارس كمراكز أيواء للنازحين وضعنا أمام مشكلة صحية كبيرة، وضعنا برنامج صحي مستمر و متكامل بهدف نشر التوعية الصحية على سكان المدينة و النازحين إليها، و قمنا بتوزيع مواد تنيف و تعقيم ضد القمل و بعض الامراض، ونظمنا جولات أسبوعية على المدارس.

و مؤخراً موضوع التوعية ضد خطر الضربات الكيماوية من قبل النظام أخذ حيزاً مهماً من عملنا فعملية التوعية ضد الكيماوي وكيفية التعامل مع الهجمات و صناعة واقي يدوي للحماية من الغازات السامة لاقى نجاح و قبول لدى الناس، عن طريق مقالات بالصحف المحلية (المسار الحر، شمس الحرية) وتوزيع نشرات دورية لهذا الغرض.

وتضيف هدى» نقوم كذلك بتوثيق حالات التحرش الجنسي و الأستغلال من قبل بعض ضعاف النفوس من قادة و عناصر الكتائب المسلحة، مستغلين حاجة بعض العائلات من أرامل و مطلقات للأغاثة، ونحن اليوم بصدد إصدار تقرير كامل حول الموضوع، و نحاول قدر الأمكان مساعدة نساء المدنية بالإنطلاق بمشاريع صغيرة (خياطة، تطريز) مستفيدين من الامكانيات المتوفرة لدينا .

الطبيعة غير الذكورية لهذه المجموعة هي عامل الاختلاف الأهم مع جماعات «المعارضة « الأخرى، فبعد سنوات من العمل في الهامش، ومواجهة أزمات قيادية والعديد من التحدّيات السياسية و الإقتصادية و الأجتماعية، باتت المرأة الآن لاعباً أساسياًو محورياً في البلاد وترفع لها القبعة.

المرأة السورية تصدح بصوتها ضد الظلامية والإستبداد

المرأة في سوريا خرجت جنبا إلى جنب مع الرجل تدافع على كرامتها وحريتها منادية بالتغيير، وصدح صوتها في الساحات بأن لا عودة إلى الاستبداد.

المرأة السورية اليوم في قلب المنعطف العسير الذي تمرّ به اليوم الحالة السورية، أمنيا وإنسانيا، وبالرغم من تهجير حوالي ٣ ملايين سوريّة وسوري خارج البلاد ونزوح حوالي ٦ ملايين آخرين داخل الأراضي السورية، وبالرغم من أن المرأة عادة هي الجهة الأضعف التي تدفع أثمانا غاليا في الحروب ومقاديرها.

ولأننا (محكومون بالأمل) كما يقول المسرحي السوري الراحل سعد اللّه ونوس، لا يسعنا إلا أن نستمر بالسير الصعب والثابت في اتجاه سوريا المحرّرة إنسانا وأرضا وسياسات.

عن مدى تأثير وتأثر المرأة السورية بالثورة، قالت المعارضة السورية مرح البقاعي، العضو السابق في المجلس الوطني السوري لصحيفة (العرب) « لقد دفعت المرأة السورية أثمانا باهظة تشريدا وتنكيلا ويتما وثكلا واعتقالا وترمّلا وشهادة، تقف اليوم، بعد مرور ثلاثة أعوام من التضحيات المتّصلة، في موقع المرتَهن لتصنيفات راديكالية ترتدي عباءة الإسلام، تهدف إلى تنفيذ أجندات سياسية مرتبطة بأطراف ظلامية ذات نهج عنفي.

وأكّدت البقاعي، مديرة معهد الوارف للدراسات الإنسانية من واشنطن، على أن المرأة السورية تريد الكثير من الثورة، كالمشاركة الفاعلة في الحكومة الانتقالية والدائمة، وفي التجمعات الدولية، في ولجان كتابة الدستور، كما تريد ضمان حماية اجتماعية وقانونية لها.

وقالت «لا بد من التأكيد على ثوابت سياسية وأخلاقية وقانونية هي في صلب مكافأة المرأة السورية لثورتها على ثالوث الاستبداد والتبعية والتعصّب.

وأسرد بعضا منها هنا وهي نقاط جاءت في البيان الوطني للمرأة السورية الذي أطلقناه منذ وقت قريب: ضمان المشاركة الفعالة للمرأة في العمل السياسي وذلك بضمان مشاركة نسائية بنسبة ٥٠ بالمئة في أية حكومة مؤقتة، أو انتقالية، أو دائمة، وكذلك الحال في مؤسسات الدولة كافّة، وكذلك ضمان مشاركة المرأة بنسبة ٥٠ بالمئة في التجمّعات الدولية، وفي لجان التفاوض والمصالحة والسلم الأهلي، وكذلك في لجان تأسيس وكتابة الدستور، وتمكين ودعم النساء في العمل السياسي من خلال تزويدهن بالمهارات اللازمة والتأهيل القيادي، ومن ثم حماية المرأة اجتماعيا وقانونيا من التعرّض للإكراه العقائدي (دينيا كان أم سياسيا)، وتفعيل قوانين ردع العنف الأسري والانتهاكات الجنسية، وسن أنظمة اجتماعية لحمايتها من الأذى الاقتصادي المترتّب على فقدان المعيل، وتجريم الزواج من القاصرات، وكذلك نشر حملات التوعية التي تساعد في التعريف والاعتراف بالتحرّش والاغتصاب على أنهما جريمتان يحاسب مرتكبهما أمام القانون بأقصى العقوبات».

عملية تغيير متكاملة

رأت البقاعي أن ثورة المرأة السورية كانت ضد المفاهيم والمجتمع الظالم كما كانت ضد النظام السياسي.

وقالت «الثورة عملية تغيير متكاملة اجتماعية وسياسية وبنيوية، والثورة السورية لن تكتمل إلا إذا اقترنت ببرنامج حازم لتحرير الإنسان السوري، والمرأة أولا، وعلى الصعد الاجتماعية كافة، وكذلك مساواتها الدستورية والقانونية التامة بالرجل في الحقوق والواجبات.

وعليه فالدستور المستقبلي في سوريا، ومجموعة القوانين التي ستنبثق عنه، يجب أن تؤكّد على حرية المرأة واحترام خصوصيتها وجسدها وعقلها وعواطفها، وتضمينها في القوانين والتشريعات كافة، وتمكين نفاذها عن طريق تفعيل الأدوات والمؤسسات الموازية، وإنشاء الروادع القانونية والعقابية لكل من يستمر في الاعتداء على هذه الحقوق تحت أي مبرّر.

كما يجب أن يشدّد الدستور المرتجى على حق المرأة في العمل السياسي، والشراكة في مواقع القرار العليا بالترشّح وإشغال أي منصب في الدولة بما فيها منصب الرئاسة والوزارات السيادية وكذا المناصب القضائية في القضاء المدني والقضاء الدستوري».

وشددت الناشطة السياسية السورية على ضرورة تعدد أجنحة الثورة لتكون ثورة سياسية اجتماعية ثقافية أيديولوجية، في ظل مجتمع رضخ لقرون لدكتاتورية سياسية وذكورية وأيديولوجية.

وأوضحت «أعتقد أن الثورات السياسية لابدّ أن ترافَقها أخرى ثقافية انقلابية على الراكد السلطوي ذي الفعل الرجعي المقيت، ثورة ثقافية هي الرديف والرافد للثورات السياسية على ألوان الاستبداد، وأن التحرّر السياسي المرتجى لا يستوي إلا موازاة بتيار من التغيير المجتمعي ينقلب على كل مثبّطات الحراك الثوري ومسكّناتهوفي مقدمتها تغييب شراكة المرأة، نصف المجتمع الفاعل ونسغ المستقبل العميم».

وأضافت «أن المرأة التي دفعت أثمانا باهظة في نضالها المستميت من أجل الحرية والكرامة الإنسانية لابد لها من أن تقطف ثمار هذا التغيير في دولة مدنية دستورية

ديمقراطية، دولة مواطنة يتساوى فيها المواطنون رجالا ونساء في الحق والواجب تحت مظلة قانون مدني عادل مبني على شرعة حقوق الإنسان العالمية».وحثّت على ضرورة العمل على قضية المرأة بالتوازي مع العمل على قضية تشكيل وطن.

وقالت «الوطن هو امرأة أيضا، وأعتقد جازمة أن من يكون مخلصا لامرأة سيكون حكما مخلصا للوطن، والعكس صحيح، ومن هذا المنطلق أقول أن العمل على قضية المرأة وتمكينها وإقرار حقوقها الإنسانية المشروعة هو جزء لا يتجزء من العمل التغييري في المجتمعات».

وتابعت «كيف يمكن أن تتعافى مجتمعات نصف جسمها مريض أو راكد؟!

أستطيع أن أقول إني عملت على تحرير الإنسان أولا (رجلا وامرأة) وبتحرير الإنسان نستكمل مشهد الحرية ونسحبه على الأرض والوطن».

أداء غير مبشر

عن المستقبل، وقدرة سوريا على النهوض من جديد، وإمكانية أن تكون ساحة لتحقيق طموحات المرأة السورية، قالت «إن أداء المعارضة بشكل عام غير مبشّر، وخصوصا في تعاطيه مع المرأة واستيعابها في الأطر السياسية التي شكّلتها جهات المعارضة على مدى السنتين الماضيتين.

والمرأة السورية التي عانت من العسف السياسي والتغييب في الماضي السوري البعثي لن تتنازل عن دورها وحقها بعد الثورة في المجالات السياسية والقيادية كافّة على أرضية الكفاءة والخبرة والتمكين وليس بالغلبة السياسية ولا بنازع ملء الفراغ.

ولأن الحرية تؤخذ ولا تعطى فالمرأة السورية مستمرّة في نضالها المضاعف ضد استبدادين: السياسي الأسدي، والاجتماعي الظلامي».

عزة البحرة: القضية الكردية كارثة على الأزمة السورية

الممثلة السورية عزة البحرة نموذج آخر للمعارضة السورية «المؤنّثة»، نزعت عنها جلباب الفن وارتدت عباءة السياسة ونزلت إلى حلبة الصراع لتعبّر عن تأييدها لموقف شعبها السوري ومساندة مطالبه.

ما إن بدأت الأحداث في بلدها حدّدت البحرة موقفها ولم تكتف برفض الاستبداد قولا بل فعلا أيضا وذلك من خلال ترؤسها لـ«حركة معا من أجل سوريا حرّة».

وبالحديث عن «حركة معا من أجل سوريا حرة» قالت عزة البحرة إن الحركة كانت من أكثر الحركات جدية ونشاطا ودقة في اختياراتها. وأضافت أنها كانت ضمن إطار مدني ذات طابع سياسي وأغلب أعضائها كانوا من المعتقلين. وأردفت أن بعد انسحابها من هيئة التنسيق أصبحت هناك مشاكل كثيرة واقتصر نشاط الحركة على الجانب المدني والإغاثي وأن الظروف الأمنية حدت من نشاطها وإضعافها وربما يعاد هيكلتها مستقبلا.

وعن انسحاب الحركة من هيئة التنسيق قالت البحرة إن ذلك يعود إلى سببين أساسيين: السبب الأول يعود إلى عدم استقلالية القرار، فهناك جهات كانت تتدخل في القرارات، والسبب الثاني هو وجود شخصيات غير وطنية مثل حركة الـ«بي ي د»، وهي حركة كردية لكنها لا تمثل الأكراد لأنهم أصحاب فكر تقسيمي، فهم يعتبرون أن شمال سوريا هو غرب كردستان. ووصفت البحرة القضية الكردية بأنها كارثة على الوضع السوري.

وأضافت البحرة أن نزيف الدم بسوريا لا تكفيه طاقة الشعب السوري كلها فهو في حالة انهيار اقتصادي واجتماعي كامل وإسرائيل هي الأكثر سعادة لما يجري في سوريا. وأجابت عن تعرضها للاعتقال مع زوجها المخرج ثائر موسى، الذي يعد من مؤسسي ورشة الوحدة الوطنية وتجريم الطائفية، وهو من الطائفة العلوية، بأن النظام أذكى من أن يعتقلهما وذلك كي يوهم الآخرين بأن عدم اعتقال الشخصيات العلوية يثير حولهم الشكوك حول نزاهتهم وأضافت أن هذه السياسة ترجع إلى أيام الأسد الأب.

وبحديثها عن مؤتمر السلم الأهلي الذي جرى في إسطنبول قالت عزة البحرة إنها تلقت دعوة لحضور المؤتمر فقررت أن تذهب مع زوجها بوصفهما شخصيتين ديمقراطيتين وليستا إسلاميتين فوجدت أن البيان لا ينسجم مع أهداف الثورة إذ رأت فيه تشددا دينا ملحوظا. وأضافت بأنهما قدما اقتراحاتهما بشأن البيان فرفض القائمون قراءتها فاعتذرا عن المشاركة. وأوضحت أن السبب الرئيسي لمغادرتهما المؤتمر، كان بسبب سؤال طرحه أحد الصحفيين للمعارض هيثم المالح فتجاوز الإجابة ما حدا بزوجها إلى اتهام المؤتمر بأنه مؤتمر حرب أهلية وليس سلما أهليا.

الجيش الحر

وبالنسبة إلى الجيش الحر ترى عزة البحرة أنه منذ بداية تشكله غير قادر على إحراز نصر على النظام ولكنه قادر على منعه من إجهاض الثورة. وأردفت أن الشعب السوري هو من سيحارب التطرف الديني وتابعت أن الشعب أمام معارك دولية لم يعد فيها النظام هو خصمه الوحيد، وأن سوء وضع المعتقلين في سوريا ربما لم يحدث في التاريخ . وعن رأيها عن إمكانية سيطرة الإسلاميين في سوريا طرحت البحرة ما يحدث في مصر من نجاح في مجابهة الإسلاميين سينعكس على كافة الدول التي تعيش الثورة.

مدن الدخان.. أليسار أرام

مدن الدخان
مدن تشتعل تحترق
تستعر في اتون من
الحجر والاسمنت والفولاذ
ولحوم البشر

مدن تعج با لانقاض بالاطلال بالحطام
بالنفايا بالدور المهشمة
المعجونة بالاشلاء
بعظام الاطفال البيضاء

مدن تتلوى تتحرَق تفور
في ليالي العدم
في فجر للفناء يتاجج
مبشرًا بحلول زمن الوحش
متنبئًا بنهاية العالم
باندثار عشرة الاف سنة
من الحضارة

مدن الدخان،
عظينا يا مدن الصغارالمهشمين
والاطفال المهتوكين
يامدن الامهات الملَوعات
والاباء يهذون ويبحثون

عظينا يا مدن القبور المفتوحة للفلوات
والشيوخ الطاعنين والنساء المشوهات
آه، لم يدر بخلدي بان الموت قد نال هذه
الالاف المؤلفة
بان الارض قد اخذت تنبت الجثث المكدسة

مدن الدخان ومزق الاسمنت
تصوغ في خلاء اللاشئ والخواء
منحوتات ممسوخة شكَلَها البلاء
ما هذا العويل يملا الفضاء
نواح الوالدات يسيل في العلاء

بيوت الفقراء تنتصب تستقبل الضيوف
كهياكل الموتى تخترق الافاق الهاوية.
خيالاتها تطعن الجوزاء المنهارة
واطلالها تمزق اشعة النجوم النازفة

اواه لاتدعوني اطيل النظر في الاحراش
المعتَقة
تسطًر بالنارالف باء الخطيئة المميتة
ولا تدعوني اهرول ملتاعة في الحقول
المشتعلة
التي كانت ملعبا لاطفال العنب والتفاح

لاتدعوني ابحث عن الجثث المخبأة
في احضان الارض المحروقة
تئن تحت اقدام السفاحين الوسخة.
واحرَ قلبي لغوطة دمشق
لنواعير حماة
لمروج حمص الذهبية

على ابواب درعا
على ابواب دوما
على اطلال حماة
على ثرى الهلاك
الذي كان يدعى حمص
مدينة الالام المؤلَفة
جلست ارضا وبكيت

عند فرات ديرالزور
فوق ثرى سوريا العتيقة
وقدعبثت به زلازل الابادة،
يتاوه تحت نعال جيوش الفناء
افترشت الارض وبكيت

عند اسور قلعة صلاح الدين الشامخة
تتحاور اروقتها مع النجوم
وتعانق ابراجها الكواكب الدرية
ركعت وسكبت الدمع
على حلب وحولياتها
وقصتها العريقة وحضاراتها

ولكنني اذكر واتذكَر
ايقاعات تلك النافورة
في الحديقةالمسوَرة المستورة
ماذافعلوا بالاطفال
ماذا فعلوا بالياسمين
انني لاذكر واتذكر

بمحاذاة الشارع المستقيم
الطريق الى دمشق الخالدة
تطامنت وبكيت اذ تراءت لي
حاضنة التراث الانساني
وهي تنتظر وترقب الارماجدون
وهبوط المسيح الكذاب
من السموات المشتعلة

انظروا، تلَة الجلجلة الحديثة
تاملوها تتطاول بصلف مشرفة
على المدن السورية
وساريكم
الف مسيح يتعثرون تحت اكاليل الشوك.
هاهم يعانقون اطفالهم ويلمون اطرافهم
الممزقة
واسواط الحر القاتل تعميهم
وقنابل السفاح
تمثِل باجسادهم وتدميها
وتعيث فيها اشلاءا

شكًلني ينعب الخراب
كونَي تنوح الاطلال
أقمني يولول الاسمنت
ازرعني تصرخ الاشجار في رمادها
اذكر ني يئنُ الرخام والحجر والباسلت
اذكرونا اذكرونا اذكرونا
ينادي الاموات الضائعين في قبورهم
الضائعة

التاريخ هوالاب
الام هي سادنة الحضارات
انك لن تعتِم ارثي
فانت لست الا خيال الفناء
العماء قبل الخليقة
اللاشيئ

ستشرق الشمس ثانية في الغداة
فمصير الام التي هزت مهد الحضارة
لا يخطُه الموت بل الحياة

شخصية سورية.. ميشيل عفلق

ميشيل عفلق (١٩١٠ - ٢٣ حزيران / يونيو ١٩٨٩)، أحد مؤسسي حزب البعث الذي أصبح فيما بعد حزب البعث العربي الاشتراكي.

ولد في دمشق لعائلة متوسطة تدين بالأرثوذكسية، تلقّى تعليمه في المدارس الفرنسية في سورية الواقعة تحت الانتداب الفرنسي، لمع ميشيل على مقاعد الدراسة وانتقل إلى باريس ليلتحق بجامعة السوربون حيث بلور أفكاره الحزبية. تأثر عفلق بحركة الإنبعاث الإيطالي بزعامة جوزيبي مازيني فحملها باهدافها إلى الواقع العربي ولم يكن الفكر البعثي وليد ثقافة ميشيل عفلق بل استورد عفلق فكرة الانبعاث الإيطالي باهدافة (الوحدة - الحرية - الاستقلال) ولكون كثير من الدول العربي نالت استقلالها نسبيا مزج عفلق مبدأ الإشتراكية ليكون الفارق البسيط مع فكرة مازيني (الانبعاث الإيطالي). وبعد رجوعه إلى سورية عام ١٩٣٣، عمل عفلق كمدرس وبدأ يبشر بأفكاره في أوساط الطلاب والشباب ونشط في الوسط السياسي. قام عفلق عام ١٩٤١ بتكوين أول جماعة سياسية منظمة باسم الإحياء العربي التي أصدرت بيانها الأول في شباط. وما لبثت هذه الجماعة ان وضعت مبادئها القومية موضع التنفيذ عندما أعلنت تأييدها لانتفاضة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإحتلال البريطاني عام ١٩٤١، وأسست «حركة نصرة العراق».

وبمساعدة صلاح الدين البيطار والدكتور مدحت البيطار، عقد المؤتمر التأسيسي في ٧ نيسان عام ١٩٤٧ في دمشق، وانتخب ميشيل عفلق عميدا للحزب. عام ١٩٥٢ تم دمج حزب البعث العربي مع الحزب الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي.

حرص ميشيل على حرية الرأي والتعبير والاهتمام بحقوق الإنسان والالتفات إلى طبقة المجتمع الدنيا، إلا أن مُتبني حزب البعث كنظام حكم في سورية والعراق، كلٌ على حدى، لم يطبّقوا توصيات ميشيل التي دوّنها في مؤلّفاته

ويُعدّ ميشيل عفلق (١٩١٠ - ١٩٨٩) الأب الروحي لحزب البعث العربي الاشتراكي، الذي أسسه مع صلاح البيطار. وولد في دمشق لعائلة مسيحية من الطائفة الارثوذكسية.

وتولى عفلق منصب وزير التعليم عام ١٩٤٩ واستمر في منصبه لفترة وجيزة، وفي عام ١٩٥٢، فرّ من سوريا هرباً من الاضطهاد السياسي وعاد إلى بلده مرة أخرى عام ١٩٥٤ ولعب دوراً هاماً في تحقيق الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨. ولم تكن لميشيل تلك الصلات الوثيقة بالحكومة البعثية، ولجأ إلى بيروت في الستينيات حيث صدر عليه حكما بالإعدام من قبل حركة شباط بسوريا عام ١٩٦٦ قبل أن ينتقل للعيش في بغداد عام ١٩٧٥.

وعند وفاته عام ١٩٨٩، أقامت الحكومة العراقية تأبيناً لمماته ودفنته في بغداد، وتحدثت الحكومة العراقية آنذاك عن اعتناق ميشيل الإسلام قبل مماته ولم يصدر أي رد فعل من عائلته أو أصدقائه على ذلك في حينها.

صيدنايا

ويَعني اسمها «سيدتنا» بالآرامية، وهيَ تقع على ارتفاع ١,٤٥٠ متر عن سطح البحر. تُشتهر المدينة بجمال طبيعتها ومقدساتها المسيحية المشهورة في جميع أنحاء العالم. كما يقع سجن صيدنايا بالقرب من المدينة.

صيدنايا ذات أهمية كبيرة وخاصة بين مدن الشرق والعالم المسيحي، فهي بلدة تعود إلى عصور قديمة، وفيها الكثير من الآثار، أهمها الأديرة والمقدسات المسيحية. وفيها أحد أهم الأديرة المسيحية في العالم، وهو دير سيدة صيدنايا ، دير السيدة ، الذي بناه الإمبراطور البيزنطي جوستنيان. تقول قصة بناء الدير أن جوستنيان، وأثناء رحلته للصيد في المنطقة ظهرت له غزالة، وطاردها إلى أن وصلت إلى تلة، وظهرت له هناك السيدة مريم العذراء وأمرته بأن يَبني ديراً في المكان نفسه، فاستجاب وحقّقَ رغبتها. ويُشار إلى أن هذا الدير يأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد كنيسة القيامة في القدس.

كما يُوجد في مدينة صيدنايا ٢١ ديراً و٤٠ كنيسة بالمجمل، ومن ضمن الأماكن المقدسة في المدينة:

دير السيدة (الضخم الشهير، والذي يعد المكان المقدس الثاني بعد القدس بالنسبة للمسيحيين).

دير الشيروبيم (ويقع على ارتفاع ٢,٠٠٠ متر).

دير مار توما.

دير مار جورجس.

عدد من دير مار بطرس.

تلكلخ

تقع غرب مدينة حمص وتبعد عنها مسافة ٤٥ كم. وهي عبارة عن قضاء كبير جداً، تأسست تلكلخ فعلياً إبان الاحتلال الفرنسي لسوريا تتميز مدينة تلكلخ بجمال الطبيعة والمناظر الخلابة وجوها الجميل وتجتذب الزائرين والسياح وتنتشر في المدينة المنشآت السياحية مثل المطاعم والمنتزهات الطبيعية حيث الخضرة والجمال وترتبط المدينة بطرق حديثة مع محيطها ومع مدينة حمص وبها محطة قطارات حيث تنطلق من المدينة القطارات إلى مناطق سوريا.

تشتهر المدينة بتربية وإنتاج سلالة من الخيول العربية الأصيلة المنتشرة في سوريا وأوروبا. وفي عهد الاستعمار الفرنسي قامت بها ثورة ضد الفرنسيين إبان الثورة السورية الكبرى.

تعتبر منطقة تلكلخ من أكبر المناطق الإدارية في حمص حيث يتبعها عدد كبير من الأقضية والبلدات والنواحي والقرى.

أساليب التعذيب لدى النظام السوري: عندما يصير الموت أمنية

سلاسلُ يتم تعليقها في أعلى الحائط توضع أيدي السجين فيها فلا تصل قدماه إلى الأرض، ويتم تعريته من كل ملابسه، ويبقى معلّقاً لمدة سبعة أيام أو عشرة، مع استراحة قصيرة كل يوم، ويتناوب على تعذيبه عناصر فرع التحقيق، مستخدمين الضرب بعصي الكهرباء وسكاكين حادة أحياناً، ومن ثم تلقى مياه مالحة عليه، ويبقى على هذه الحال إلى أن يستدعى إلى التحقيق، وهناك تبدأ المرحلة الثانية التي يتمنى فيها السجين الموت في كل لحظة.

هذه هي بداية قصة «منير»، أحد المعتقلين السابقين في فرع الأمن العسكري بمدينة دمشق، والذي اعتقل في حي القابون بعد حملة مداهمة نفذها جيش النظام السوري. يقول «منير»: «عند أول جلسة تحقيق سألني المحقق بعدما وضع عصبة على عيني عن أشخاص من أبناء الحي، فكان جوابي عدم معرفتي بهم، فتم تعريتي بالكامل وإيصال أسلاك كهربائية الى عضوي الذكري، كما تم ربط لساني بأسلاك أيضاً، وبدأت موجة من التعذيب بالكهرباء استمرت ساعة كاملة، وأُعدت إلى زنزانتي الانفرادية بعدما أغمي عليّ».

ويمضي «منير» في سرد معاناته: «في اليوم التالي أعاد المحقق السؤال نفسه، وأقسمت له أنني لا أعلم عن الأشخاص الذين سألني عنهم أي شيء لالتحاقهم بالجيش الحر، وانقطاع التواصل معهم. فوُضعت على جهاز مهمته فتح الأرجل والأيدي بما يؤدي الى كسر الظهر، وتعرضت على أثرها إلى أذى شديد، بعد ذلك تم تعليقي بوضعية (الفروج) كما تسمى لدى فروع الأمن السورية، حيث يعلق السجين من يديه وقدميه على عصا غليظة، ويتناوب رجال الفرع على ضربه بأدوات حادة حتى يبدأ الدم بالتساقط من الجسم على الأرض، ومن ثم يرش الجسد بالمياه والملح ما يجعل السجين يتمنى الموت. وبعد بقائي لمدة تجاوزت العشر ساعات في هذه الوضعية تم وضعي على ما يعرف ببساط الريح حيث تم ضربي على قدمي بحزام حديدي أدى إلى عدم قدرتي على السير على قدمي اليسرى لمدة تجاوزت ثلاثة أسابيع متواصلة».

ويتابع منير: «كل هذا التعذيب ولم يسألني المحقق سوى هذا السؤال، وكرر السؤال نفسه عند لقائي به، فطلبت منه أن يصدّقني لأني لم أعد أحتمل التعذيب والضرب. وكان واضحاً علي عدم القدرة على الوقوف على قدمي وبقائي جالساً على الأرض من شدة التعذيب. وهنا أمر بوضعي ضمن زنزانة جماعية لحين استدعائي للتحقيق مرة أخرى. وكانت الكارثة عليّ بأن الزنزانة لا تتسع سوى لنحو أربعين شخصاً في أقصى الحالات، فيما العدد بداخلها تجاوز ١٥٠ شخصاً، أغلبهم يعاني أمراضاً جلدية بسبب قلة النظافة وسوء حال الزنزانة وارتفاع حجم الرطوبة. وبسبب عدم توفر مكان لي، كنت اقف يومياً لمدة تتجاوز العشر ساعات بشكل متواصل مع إمكانية النوم أربع ساعات عندما يتوفر لي مكان لتمديد جسدي عليه. وفي بعض الحالات كنت أبقى واقفاً لمدة يومين متتالين، تعرضت خلالهما لحالة إغماء واحدة، وبدأت آثار الانتفاخ واضحة على قدمي نتيجة الوقوف لساعات طويلة حيث امتد الانتفاخ من أسفل القدم حتى أسفل الركبة. وبقيت على هذه الحال نحو شهرين ونصف الشهر، إلى أن استدعيت مرة أخرى للتحقيق. وكانت حدثت عدة حالات وفاة أمامي نتيجة للوضع المزري الذي كان السجناء يعانونه. وكنّا ننادي الحراس طالبين إخراج أحد السجناء وهو على حافة الموت، فلا يستجاب لندائنا حتى يفارق الحياة».

ويخبر منير أن «أحد أكثر الأساليب تعذيباً هو ربط القدمين مع اليدين من الخلف، وتثبيت الرأس ضمن إطار معدني بحيث يصبح السجين غير قادر على الحركة أو الرؤية، ومن ثم يُضرب بأدوات حادة أو سلك معدني، الأمر الذي يؤدي الى نزف الدماء من كافة مناطق الجسم. وأحياناً يُعلق بالسقف بالوضعية نفسها لساعات طويلة. وقد توفي العديد من المعتقلين بسبب هذه الطريقة من التعذيب».

التحول الديمقراطي .. سوريا نموذجاً
كتاب جديد يؤسس لمرحلة ما بعد الأسد

عبد الحاج - بيروت

لا يعنى انتهاء نظام ديكتاتوري معين أن تنتهي جميع المشاكل حيث ان سقوط نظام معين لا يخلق المدينة الفاضلة بل إنه يفتح المجال أمام عهود طويلة لبناء علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية عادلة وإلى القضاء على اشكال اللاعدالة والاضطهاد الأخرى.

تحت هذا المفهوم، صدر عن دار رياض الريس كتاب (التحول الديمو قراطي.. سوريا نموذجاً- ٢٠١٣) للكاتب السوري رضوان زيادة، يقدم زيادة في مقدمة و تسع فصول مخططات لما بعد سقوط النظام في سوريا، معتمداً منهج المقاربات المتعددة، الذي يعتمد في تحليله على كافة العلوم الاجتماعية و ياخذ بالعوامل السياسية و الثقافية و الاقتصادية و الجيو سياسية في الاعتبار، لرصد وتحليل و تو صيف الظواهر ذات العلاقة بعملية التحول الديمقراطي المقبل، مبرزاً تأثير صاحب كتاب «من الديكتاتورية إلى الديمقراطية» بروفسيورعلم الأجتماع الأمريكي (جين شارب) (١٩٢٨) الملقب بـ «مكيافيللي اللاعنف»، وأبرز منظر لفكرة الكفاح السلمي أو المقاومة السلمية بهدف أسقاط الأنظمة الديكتاتورية، من خلال الإيمان بقدرة الناس على التغيير، لكن. شارب لم يكن الاول في أبتكار أفكار المقاومة السلمية، فقد سبقه غاندي بالتأكيد، الذي منه أستفاد مارتن لوثر كينغ في صراعه من أجل حقوق السود في الولايات المتحدة الأمريكية، ونري ديفيد ثورو،وليو تولستوي وغيرهم، إلا أنه بالتأكيد أول من وضع كل هذه الأفكار في إطار الاستراتيجية السياسية من أجل التغيير السلمي و النضال ضد الديكتاتوريات.

المقدمة الطويلة للكتاب (٤٧ صفحة) أفردها زيادة للحديث عن منهج (جين شارب) لتحقيق التغيير السياسي عبر أستراتيجية اللاعنف معتمداً على منظور خاص لتحليل القوى من أجل تحقيق التغيير السياسي السلمي، مبتكراً طرائق و آليات من أجل تمكين الناس العاديين من أسقاط أنظمتهم الديكتاتورية، فالمقاومة السلمية حسب ما نقلها (زيادة) عن (جين شارب) في لقائهما في منزل الاخير في مدينة بوسطن» خيار براغماتي للأنتصار، مع أن البعض يعتبرونها خياراً أخلاقياً(أي أولئك الذين يستبعدون استخدام العنف لأسباب دينية أو أخلاقية)»، فغاندي أمن باللاعنف لأنه فعال سياسياً وليس لأنه نقي أخلاقياً.

يفصل زيادة رؤية (شارب) لمجموعة عوامل أثرت وتؤثر على حصيلة المقاومة السلمية منها: عوامل اجتماعية وعوامل لها علاقة بالنظام الحاكم وعوامل لها علاقة بالأطراف الثالثة و درجة تعاطف هذه الاطراف مع أحد المتصارعين (المقاومة أو النظام)،و عوامل أخرى لها علاقة بالمجموعة المقاومة، ليصل بنا إلى نظريته الخاصة في المقاومة السلمية المبنية على تحليل مصادر القوة ، مبيناً الفرق بين النظرية الأحادية للقوة التي تفترض أن القوة السياسية من الاعلى للاسفل، و النظرية المتعددة للقوة، و أن هناك ستة مصادر للقوة تشكل المفتاح لفهم طبيعتها التعددية هي الشرعية و الموارد البشرية و المهارات و المعرفة و هناك عوامل غير ملموسة (الدين مثلاً) و الموارد المادية و العقوبات، لكن الطاعة هي قلب القوة

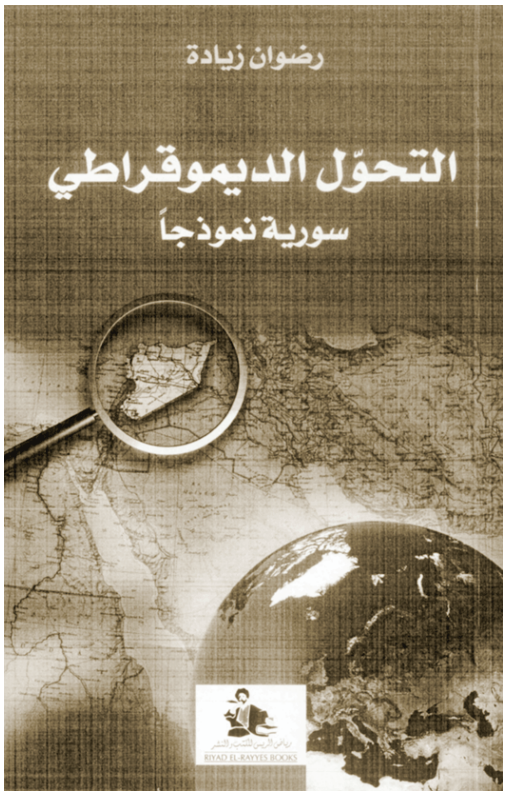

السياسية و أن الهدف هو دفع الناس إلى سحب طاعتهم للحاكم من أجل انجاز التغيير ولكن قد نفشل أحياناً بسبب الخوف من العقوبة او لمنافع شخصية كذلك الالتزام الاخلاقي و التماهي النفسي مع الحاكم ومنطق الراحة أو لضعف الثقة بالنفس، فالقوة تعتمد على أعمدة دعم داخل أنظمة الحكم الديكتاتورية وهي الجيش الامن، السلطة القضائية، الوزارات، المؤسسات الدينية، ومجتمع رجال الأعمال، ويعرض شارب لما يسميه بعض الحقائق المرة المتعلقة بالاعتماد على القوى الخارجية.

بعد هذه المقدمة الطويلة جداً، يعرض مؤلف كتاب(السلطة والأستخبارات السورية) المشهد الدولي في الربع الأخير من القرن العشرين، الذي تعرض إلى تحول بفعل موجة تغيرات أصابة الأنظمة السياسية

شكلت ما سماه (صموئيل هنتنغتون) «الموجة الديمقراطية الثالثة».
التي ابتدأت في البرتغال و اليونان ١٩٧٤ ثم أسبانيا ١٩٧٥، و اتجهت صوب أمريكا اللاتينية، وبعدها أكتسحت الدول الشيوعية في الاتحاد السوفياتي و شرق أوربا إلى أن أثرت بشكل عميق في جنوب وجنوب أسيا. لكن و بحسب زيادة «بقيت دول جنوبي المتوسط منيعة أمام موجة التحول الديمقراطي تلك وترواحت أشكال التسلط فيها إلى نمط الدولة الشمولية التوتاليتارية الكلّانية كما هي حال سورية» (ص ٤٨). ويكمل « يمكن القول إن الانظمة السياسة في جنوبي المتوسط حاولت التكيف مع الموجة الثالثة وخصوصاً في عقد التسعينيات، لكن وفق نمطها الخاص». و هذا ما أطلق عليه زيادة اسم « العقد الضائع». العقد الذي شهد أنفتاح على أفكار المجتمع المدني و اقتصادياً حيث كانت العولمة تفتح فرصاً لاحدود لها للمجتمعات في أنتقال الأفكار و الأموال. لكن المجتمعات العربية كانت بانتظار الحل البيولوجي كما سماه «محمد عابد الجابري»، الذي تحقق شيء من نبؤته في نهاية التسعينات وشهدت بعض البلدان تحولات لا بأس بها خصوصاً المغرب الذي كان قد شهد انفتاحاً جدياً خلال مرحلة التناوب ١٩٩٦.
أما سوريا وغيرها كانت بانتظار الحل البيولوجي.
ويتابع رضوان زيادة و بنفس الفصل، بعد أحداث الحادي العاشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠١١ لاحت أجندة دولية جديدة قدمت الأمن و مكافحة الأرهاب على الاإصلاح السياسي وو ضع موضوع الديموقراطية وحقوق الأنسان على الأجندة الدولية بشكل صريح أحراج وتوجيه انتقادات لبعض حلفائها في المنطقة (مصر، السعودية)، إضافة للنشاط الواضح للمعارضة الساسية و المجتمع المدني في العديد من الدول العربية سيما مصر و الأردن و المغرب وتأسيس مبادرات سياسية و مجتمعية بتا يطلق عليها « ربيع الديمو قراطية العربي» منها ثورة الارز في لبنان عام ٢٠٠٥ ص٥١.
و يضيف زيادة فشل الغزو الأمريكي للعراق فجر جدل واسع دولياً حول الأستراتيجة الجديدة للولايات المتحدة لنشر الديموقراطية التي تسعى إلى دعم التحول الديموقراطي و حكم القانون.
الفصل الثاني يقدم زيادة سرد تاريخي مختصر لبدايات الربيع العربي الذي بدء بتونس و لم ينتهي بسوريا، لينتقل بعد ذلك في الفصل الثالث إلى الولادة القيصرية للثورة السورية التي تذرع النظام بعدم وصول الاحتجاجات إليه بسبب أختلاف الظروف أو الخصوصية كنتيجة بحسب رضوان» الفهم الخاطئ أن ما بدا بتونس و مصر و ليبيا و اليمن إنما و ناتج عن التدهور الظروف الاقتصادية و ارتفاع نسب البطالة و فقدان فرص العملن الامر الذي دفع بهم(النظام) إلى أتخاذ أجراءات اقتصادية غير دائمة مثل زيادة الدعم للمواد الغذائية الأساسية، او أعطاء زيادة محدودة على الدخل لدى العاملين في القطاع العام و غير ذلك، إعتقاداً منهم أنهم يطوون صفحة الاحتجاجات الشعبية إلى الأبد». ص ٧٠
و يبين زيادة أن ما أخر الأحتجاجات في سوريا هو الخوف بشكل رئيسي: الخوف من قمع الاجهزة الامنية التي تتباها بذلك، أضافة إلى تحفز ذاكرة الخوف التي ترسخت لدى بعد أحداث الثمانينيات. ويضيف» نجاح شباب درعا المحافظة الجنوبية في كسر هذا الحاجز وو الخروج بعشرات المظاهرات تطالب بالحريةو تمدد المظاهرات إلى مدن أخرى، وقدرة الشباب السوري الفائقة على إدراك طبيع السلطة الحاكمة و إبطال مفعولها السياسي والإعلامي». ويطرح زيادة مثالً الشعارات المرفوعة « خاين يلي بيقتل شعبو» كرد على لغة التخوين التي يستخدمها النظام ضد كل من يقف في وجهه. ويبين زيادة أن استخدام النظام للعنف المسلح ضد المدنيين نقل الثورة إلى مرحلة اطلق عليها اسم « مرحلة اللاعودة». و اتجاه المعارضة نحو الحسم العسكري و تشكيل الجيش الحر لتحرير سوريا من نظام عائلة الأسد، وبذلك تحولت ثورة الحرية و الكرامة و بناء الدولة المدنية الديموقراطية إلى نزاع مسلح حسب زيادة يسقط فيها المئات يومياً.
في الفصول اللاحقة يعرض زيادة تجارب دول شرق أوربا في عملية التحول الديمقراطي، ويقف عن تجربة تشيكوسلوفكيا كنموذج قريب من الحالة السورية و يتحدث عن عدالة المرحلة الأنتقالية و كيفية الوصول أليها بأقل وقت ممكن، ليختم الكتاب بالتحديات التي تواجه سوريا المستقبل و هي وفق وجهة نظر رضوان زيادة محددة بـ» الأصلاح السياسي و الدستوري وتفكيك النظام الشمولي بالأعتماد على عمودين أساسيين هما: المصالحة من أجل كسب المستقبل واستعادة الثقة بالمؤسسات، و التحدي الثاني هو التنيمة الأقتصادية بعد عقود من السياسات الاقتصادية الخاطئة، أما التحدي الثالث فهو تحديث الجيش السوري وتحويله إلى جيش أحترافي و اخيراً يرى زيادة ضرورة الانعطاف في السياسات الخارجية على أساس تحقيق مصالح الشعب بدلاً من تحقيق مصالح النظام».
زيادة حاولت تطبيق مقولة شارب» أن التخطيط لمرحلة ما بعد سقوط النظام يجب بحثه ودراسته في وقت مبكر و الإعداد له جيداً».

إشكالية العدالة الانتقالية:
تجربتي المغرب وجنوب إفريقيا

عبدالعزيز النويضي

الجزء الأول- مقدمة

تتميز العدالة الانتقالية عن العدالة الكلاسيكية، أي عدالة المحاكم، بلجوئها إلى مقاربة سياسية؛ حيث تتم في لحظة تاريخية محددة لم يسقط فيها النظام السابق تمامًا ولم تنتصر فيها قوى التغيير كلية. فيلجأ الأطراف لحل وسط منطقه أنه يصعب محاكمة المسؤولين عن مظالم الماضي ولاسيما عن الانتهاكات الخطيرة وواسعة النطاق لحقوق الإنسان (١)، خاصة إذا كانوا لا يزالون ممسكين بجزء معتبر من السلطة، وبالتالي فالأهم هو تسهيل الانتقال نحو الديمقراطية بمنح هؤلاء المسؤولين فرصة للمساهمة في مسار الانتقال بعدم ملاحقتهم قضائيًا لأنهم لا يزالون يمسكون بقدر مهم من السلطة وبإمكانهم عرقلة التحول لو لم تُقدّم لهم ضمانات بعدم المتابعة والزج بهم في السجون.

إن الأغلبية الساحقة لتجارب العدالة الانتقالية أخذت شكل تأسيس "لجان الحقيقة والمصالحة" تحت ضغط القوى الديمقراطية ومنظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية التي تدعم ضحايا الانتهاكات وذويهم الذين تحولوا بدورهم إلى قوى ضغط في المجتمع سواء داخل منظمات حقوق الإنسان أو بجانبها.

وقد جاءت اللجان غالبًا في مرحلة من التطور السياسي إمّا إثر ضعف أو قرب سقوط أو انهيار نظام سابق (كالأنظمة العسكرية والدكتاتورية في أميركا اللاتينية وإفريقيا وآسيا وحتى في أوروبا)، أو في مرحلة انتقال ديمقراطي أو سياسي (كحالة جنوب إفريقيا، الأرجنتين، تشيلي)، أو في إطار استمرارية النظام القديم عندما يحل وارث جديد لذلك النظام فيريد تصفية الإرث الثقيل للماضي دون أن يعيد النظر جذريًا في قواعد سير النظام القديم (حالة المغرب). وفي حالات أخرى جاء تأسيس اللجان بدفع من المجتمع الدولي في إطار عملية بناء السلام بعد حرب أهلية (السلفادور- غواتيمالا).

وتستهدف لجان الحقيقة والمصالحة غالبًا تحقيق ثلاث غايات أولية:

حماية الحقائق التاريخية من التزييف ومعرفة حقيقة الانتهاكات: لماذا حصلت؟ ما هي حدود مسؤولية الأطراف الفاعلة (رجال السياسة، أجهزة الأمن، الجيش، القضاء، الإعلام...) وكيف حصلت؟ ومن هم الضحايا؟ وما مصيرهم اليوم؟

جبر ضرر الضحايا وعائلاتهم: بالاستماع لمظلمتهم، والاعتراف بمعاناتهم، والاعتذار لهم، وتعويضهم هم وذويهم وإعادة تأهيلهم، كل ذلك تسهيلاً للمصالحة والعفو.

القيام بإصلاحات سياسية ومؤسساتية: لضمان عدم تكرار الانتهاكات وتأسيس الديمقراطية عبر إصلاح دستوري، ومن خلال إصلاح القوانين وإصلاح المنظومة الأمنية والقضائية والإعلامية في الدولة.

والحق أن لجان الحقيقة والمصالحة في العالم كثيرة ومتعددة، من أشهرها تلك التي بدأت في منتصف السبعينيات من القرن العشرين في أوغندا وتبعتها أخرى في أوائل الثمانينيات في بوليفيا مرورًا بما حدث في جنوب إفريقيا منتصف التسعينيات...، حتى صار المشهور من تلك اللجان يقارب الثمانية والعشرين لجنة في مختلف بلدان العالم.

ولا يمكننا القول: إن كل تجارب لجان الحقيقة والمصالحة ناجحة، فبعضها عرف الفشل ولم يستطع الوصول للحقيقة أو جبر ضرر الضحايا أو تأمين تحول ديمقراطي كما هو الحال في هايتي، سريلانكا، نيجيريا، لجان التحقيق في الاختفاءات بالجزائر... إلخ، وبعضها كان مختلط النتائج ما بين الفشل والنجاح كما هو الحال في المغرب، وبعضها نجح وساهم في تأمين وترسيخ التحول الديمقراطي كما حدث في جنوب إفريقيا، تشيلي، الأرجنتين.

وستتطرق هذه الورقة بشيء من التفصيل لتجربتي جنوب إفريقيا والمغرب في محاولة لاستخلاص الدروس منهما.

تجربة لجنة الحقيقة والمصالحة بجنوب إفريقيا

بعد ثلاثين سنة من الصراع المسلح ١٩٦٠-١٩٩٠ الذي قاده حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ضد نظام التمييز العنصري "الأبارتايد" دخلت البلاد مرحلة انتقال ديمقراطي سنة ١٩٩٠ وذلك بعد وصول زعيم الأقلية البيضاء دو كليرك إلى السلطة؛ حيث رفع دو كليرك الحظر عن نشاط حزب المؤتمر الوطني وأطلق سراح زعيمه نلسون مانديلا بعد ٢٧ سنة من السجن.

وقد أعد دو كليرك ومانديلا مخططًا انتقاليًا، ورُفِعت العقوبات الدولية عن جنوب إفريقيا، وتم تبني دستور انتقالي سنة ١٩٩٣ ثم نُظِّمت انتخابات متعددة الأعراق سنة ١٩٩٤ فاز بها المؤتمر الوطني الإفريقي وانتُخب مانديلا رئيسا لجنوب إفريقيا.

وخلال عام ١٩٩٣ كانت قضية العفو عن مرتكبي الجرائم الخطيرة خلال الفترة الماضية من أهم نقاط المفاوضات حول الانتقال الديمقراطي، وقد توصل الطرفان إلى تسوية ترى أن العفو يمكن أن يتم بالنسبة للأعمال الإجرامية التي تمت بهدف سياسي وكان لها علاقة بنزاعات الماضي. وبعد نقاش واسع من المجتمع المدني ومؤتمرين دوليين عُقدا حول سياسات العدالة الانتقالية في الدول الأخرى للاستفادة من تجاربها صادق برلمان جنوب إفريقيا منتصف ١٩٩٥ على قانون دعم الوحدة الوطنية والمصالحة الذي أسس للجنة الحقيقة

والمصالحة، وقد عَيّن الرئيس نلسون مانديلا أعضاء تلك اللجنة والبالغ عددهم ١٧ عضوًا في ديسمبر ١٩٩٥ واُختير القس ديزموند توتو رئيسًا لها. وقد بدأت أعمالها في إبريل/نيسان سنة ١٩٩٦ وأنهت أشغالها بتقديم تقريرها في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٨.

انقسمت لجنة الحقيقة والمصالحة إلى ثلاث لجان فرعية: لجنة انتهاكات حقوق الإنسان، ولجنة جبر الضرر وإعادة التأهيل، ولجنة العفو. فأما لجنة انتهاكات حقوق الإنسان فقد كانت وظيفتها التحقيق في الانتهاكات التي تمت بين ١٩٦٠ و١٩٩٤ بتحديد هوية الضحايا، ومصيرهم (أو رفاتهم)، وطبيعة ومستوى الضرر الذي لحقهم، وما إذا كانت الانتهاكات نتيجة خطة مقصودة من طرف الدولة أو غيرها من المنظمات أو الجماعات أو الأفراد. بينما كانت مهام لجنة جبر الضرر صياغة توصيات واقتراحات حول إعادة تأهيل الضحايا وعائلاتهم. وقد أُسس صندوق يُموّل من ميزانية الدولة ومساهمات خاصة بهدف تقديم تعويضات مستعجلة للضحايا طبقًا لقواعد محددة يحددها رئيس الدولة. وبالنسبة للجنة العفو فإن مهمتها الأساسية هي الحرص على أن تتم طلبات العفو طبقًا للقانون؛ إذ يمكن لطالبي العفو أن يطلبوه بالنسبة لأي عمل إجرامي مرتبط بهدف سياسي اقتُرِف بين ١ مارس/آذار ١٩٦٠ إلى ٦ ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٣، وقد مُدّد هذا الأجل إلى ١١ مايو/أيار ١٩٩٤.

وطُلب من تلك اللجان أن تدرس الحالات التي وقعت خلال ٣٤ عامًا ما بين ١ مارس/آذار ١٩٦٠ إلى ١٠ مايو/أيار ١٩٩٤؛ فكان أن وجدت اللجان أمامها ٥٠٠٠٠ حالة من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان؛ فبذلت الجهود بالتحقيقات واسعة النطاق وتحليل المعلومات وجلسات الاستماع.

جلسات الاستماع

إن الشهادات التي أُدْلِي بها أمام لجنة الانتهاكات تنقسم إلى خمسة أنواع توزعت على خمس جلسات استماع:

جلسة الاستماع للضحايا: لقد سُمِح لبعض الضحايا بالشهادة العلنية أمام الملأ، واستمرت تلك الشهادات عادة من ثلاثة إلى خمسة أيام، وأدلى بها عدد يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين ضحية، وتم اختيار الشهود بعناية على أساس الاعتبارات التالية: طبيعة الانتهاك بالنسبة للجماعة أو المنطقة، تنوع المجموعات التي عانت من الانتهاك، تمثيل الضحايا من حيث الجنس والعرق والسن والموقع الجغرافي.

جلسة الاستماع الخاصة بالأحداث والوقائع: في هذه الجلسة ركزت اللجنة على أحداث تميزت بانتهاكات جسيمة، فتحدثت الشهادات عن الإطار الذي حصلت فيه، ولم تتم الشهادة فقط من قبل الضحايا بل كذلك من المهتمين والخبراء الذين لهم خبرة بالحدث أو بالوقائع. وتم اختيار هذه الشهادات لصفتها التمثيلية لنموذج من الانتهاكات متعلقة بوقائع شهيرة، منها: انتفاضة الطلبة في"سويتو" سنة ١٩٧٦، وحرب الأيام الستة في ألكسندرا سنة ١٩٨٦، ومقتل الفلاحين في ترانسفال، وكمين "حصان طروادة" سنة ١٩٦٥ في الكاب الغربي، "بوكيلو توسيفن" سنة ١٩٨٦، ومذبحة "بيشو" سنة ١٩٩٢.

جلسة الاستماع الخاصة بالفئات الهشة: اختصت هذه الجلسة بالاستماع إلى نوع محدد من الانتهاكات الموجهة ضد بعض الأفراد وبعض الفئات الضعيفة بهدف عدم تكرارها مستقبلاً، وعُقِدت جلسات استماع حول الأطفال والشباب والنساء وحول الخدمة العسكرية الإجبارية.

جلسة الاستماع الخاصة بالمؤسسات: في هذه الحالة تم الاستماع إلى مؤسسات وحرف ومهن ومنظمات لتحري الدور الذي لعبته في الانتهاكات أو مقاومتها أو تسهيلها. وبهذا الصدد استمعت اللجنة إلى القطاع الصحي، والمهن القانونية، ووسائل الإعلام، وعالم الأعمال، والسجون، والمجموعات الدينية. وعملت اللجنة على صياغة توصيات إلى الرئيس حول التدابير التشريعية والإدارية والمؤسساتية اللازمة للوقاية مستقبلاً من الانتهاكات التي استمعت إليها

جلسة الاستماع للأحزاب السياسية: منحت اللجنة فرصة للأحزاب للإدلاء برأيها حول أسباب نزاعات الماضي، واستمعت إلى ما عسى أن يكون تورطًا منها أو على الأقل تحملها للمسؤولية في الانتهاكات التي وقعت، وغالبًا ما تم الاستماع على مرحلتين: في مرحلة أولى مُنحت الأحزاب إمكانية الشهادة مع طرح أسئلة عليها بهدف التوضيح، وفي مرحلة ثانية طرحت اللجنة أسئلة محددة على مختلف الأحزاب مبنية على دراسة مفصلة لشهادتها وعلى أدلة جُمعت من خلال التحقيق والبحث.

التحقيقات

نصّ القانون على تكوين وحدة تحقيقات يرأسها عضو من اللجنة، وفي مرحلة أولى اهتمت الوحدة بالتحري عن الشهادات التي قدمها الضحايا، كما اهتمت بتحديد الشهود وجمع الأدلة وإعداد الأسئلة للشهادات المؤسساتية والسياسية. وبعد سنة من جلسات الاستماع تركز عمل تلك الوحدة على تحري ومقارنة الشهادات، وفي الربع الأخير من عمل اللجنة احتاجت لجنة أخرى تسمى لجنة العفو إلى دعم كبير في مجال التحقيقات لمعالجة طلبات العفو الكثيرة التي تراكمت عندها فحولت وحدة التحقيقات مواردها لمواجهة هذه الحاجة

البحث

أنشأت اللجنة وحدة للأبحاث بهدف تحليل الحجم الضخم من المعلومات. وقد قام هذا القسم بوضع تسلسل زمني (كرونولوجيات) جهوية لانتهاكات حقوق الإنسان التي حصلت في المدة التي تغطيها ولاية اللجنة. وقد حلّلت هذه الوحدة تقريبًا كل المعلومات التي جمعتها اللجنة سواء من الأفراد أو المؤسسات أو الأحزاب وكذلك المعلومات المقدمة إلى لجنة العفو. وقد ساعدت مجموعة من التحقيقات والاستجوابات التي أنجزها الخبراء لجنة الانتهاكات في وضع خلاصاتها، كما ساعدت لجنة العفو في مناقشاتها، وساهمت وحدة الأبحاث هذه في مساعدة اللجنة على كتابة مختلف فصول تقريرها النهائي

يتبع..

حملة « بدي مدرستي»

مع بدء العام الدراسي (٢٠١٣- ٢٠١٤) يكون قسم كبير من أطفال سوريا وطلابها قد أتم عامه الثاني على التوالي بدون مدارس، الأمر الذي ينذر بكوارث تعليمية لا تقل فداحة عن الكوارث التي تخلّفها الحرب الدائرة بين النظام والفصائل المعارضة له، مما يؤدي إلى فقدان سوريا لكوادر تضاف للخسائر البشرية التي يحصدها الموت كونها ستكون كوادر غير مؤهلة، الأمر الذي جعل الناشطون المدنيون يتنبهون للأمر ويطلقون حملة «بدي مدرستي» لأجل إطلاق ما يمكن إطلاقه من العملية التعليمية ولو بحدها الأدنى، خاصة في المناطق التي رحل عنها النظام، لأن أغلب هذه المدارس تهيمن عليها الكتائب المسلحة التابعة للمعارضة، وبالتالي ليس هناك حجج أمام عدم تأهيلها ليكمل الأطفال دراستهم.

موقعنا سيريا أنتولد Syria untold تمكن من التواصل مع الناشط «جيفارا نبي» من تجمع «لهون وبس» المشارك بالحملة (بدي مدرستي)، للوقوف على تفاصيل الحملة ومسارها وأهدافها، إذ قال: «بدأت فكرة حملة «بدي مدرستي « بعد قدوم العام الدراسي وتوقّف العملية التعليمية لعامين على التوالي، وإيماننا بأنّ أهداف ثورة الكرامة تتحقق بإكمال التعليم ونشر الوعي، بدأنا بعمليّة إحصاء للمدارس التي يستخدمها المسلحون ومجالس الأحياء كمقرّات، بالإضافة لحملة الكترونية تتضمن صور للأطفال وتقارير عن أهمية استعادة المدارس وتوزيع مناشير توعوية للشعب تؤكد على أهمية استعادة المدارس لإكمال العملية التربوية, ونحضّر الآن لاعتصام لناشطين وأهالي الطلاب والمعلمين أمام مجلس المحافظة الحرة وآخر أمام لواء التوحيد لمساعدتنا في إفراغ المدارس».

رغم حماس الناشطين وعملهم إلا أنّ ثمّة مشاكل كثيرة تعترض حملتهم، يأتي في مقدمتها «عدم استيعاب الكتائب لأهمية إفراغ المدارس، وعدم وجود قوة عسكرية لها وزنها نلجأ لها لتكون ضاغطة, وعدم وجود الوعي الكافي بين المدنيين عن مدى أهمية إكمال التعليم»، إضافة إلى «عدم وجود مموّلين لإصلاح المدارس المتضررة وتوفير الأساسيات اللازمة للتعليم (أثاث , مازوت , لوح , كتب و... الخ)».

ورغم هذه المصاعب الكثيرة، إلا أن الناشطين مصرون على عدم الرضوخ لها والبحث عن سبل لتذليلها، إذ يسعون مبدئيا لـ «كسب القوى المدنية كهيئة المعلمين ومجلس محافظة حلب الحرة، وكسب القوى العسكرية أيضا، خاصة التي تضع يدها على عدد من المدارس كلواء التوحيد لنضغط على باقي الكتائب «.

وثمة مشاكل أخرى، ناجمة عن قلق الأهالي وتخوفهم على أبنائهم من القصف المستمر الذي يقوم به النظام، إضافة إلى وجود «بعض التنظيمات المتطرفة التي تحاول إبقاء الجهل متفشيا بين الشعب»، وهو ما يعمل النشطاء على حله عبر «تكثيف التوعية للشعب (أهالي الطلاب) من خلال المناشير والمساجد وشاشات العرض الحي في الشوارع (عرض فيديوهات) والمظاهرات المطالبة بتوفير الحماية للمدارس والطلاب».

حملة «بدي مدرستي» تأتي انعكاسا لوعي ناشطين يدركون أهمية الاقتران بين الحرية والتعليم من جهة، وأهمية مقارعة الاستبداد بيد وبناء الإنسان باليد الأخرى، مدركين أن التعليم من «الحقوق الأساسية للطفل» لذا يناضلون ضد نظام حرمهم أبسط حقوقهم، وهم يصرخون بيأس ضد عالم خذلهم» لم نرى من المجتمع الدولي موقفا جريئا ضد جرائم النظام السوري لشعبه في ثورة الحرية والكرامة»، متمنين « أن يضغطوا على النظام كي يتوقف عن قصف المدارس لتستمر العملية التعليمية لأطفال سوريا»، فهل هذا كثير، أم أن العالم أصبح أصما لدرجة البلاهة!

YASER AHMAD
WWW.YASERCARTOON.NET
ثقافة التخوين
الرأي
الرأي الآخر
الخائن